الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية (شعبة التاريخ)

عنوان المذكرة

المؤسسات والمدارس التعليمية المالكية وأثرها خلال العهد الحفصي

(626-981هـ/1228-1574م)

رسالة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط

من إعداد الطالبان:

- **بوهريرة رضوان**
- **باباعربي السعيد**

إشراف:

الأستاذ: علال بن عمر

لجنة المناقشة

الاستاذ	الرتبة	الصفة	المؤسسة الأصلية
العابد عبد الحميد	أستـــــاذ	رئيس اللجنة	جامعة حمه لخضـــر الوادي
عقبة السعيـــــد	دكتـــــور	عضوا ممتحنا	جامعة حمه لخضـــر الوادي

السنة الجامعية:2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الشكر الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل

إن قيد النعم شكرها و من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ونحن في هذا المقام لا يسعنا الا أن نذكر الفضل لأهله والتقدم ببالغ صيغ الشكر للأستاذ المؤطر : الدكتور علال بن عمر على سعة صدره وجميل تواضعه فجزاه الله عنا كل خير، وإلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا العمل المتواضع، والى كل أساتذتنا الكرام بشعبة التاريخ، وإلى جميع من نكن لهم فائق التقدير والاحترام

وأخيرا الى كل من ساعدنا في إعداد هذا العمل

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى الوالدة الكريمة التي سهرت من أجل تربيتي

وتحفيزي على النجاح، كما اتمنى من الله عز وجل أن يطيل في عمرها

وإلى عائلتي الصغيرة زوجتي وأبنائي كل واحد بإسمه:

ريهام – أيهم – شهد – عبيدة

وإلى إخوتي واخواتي:

محمد العربي – سعيدة – عبد اللطيف – جبارة – زهرة

وإلى الأهل والأصدقاء والأحباب من قريب أو من بعيد.

❖ رضوان بوهريرة

الإهداء

الحمد الله الذي هدانا إلى سبيل العلم وأمدنا بالصحة وأعاننا على إنجاز هذا العمل المتواضع

إلى من قال الله في شأنهما "وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"

الوالدين الكريمين أسأل الله أن يتغمدهما برحمته الواسعة

إلى أفراد أسرتي الكريمة زوجتي سندي في الحياة إلى أبنائي الأعزاء

منار – محمد الفاتح – حليمة – نور الإيمان – محمد رضا والصغيرة المدللة ساجدة

إلى عائلة الحاج عبد القادر نوي وزوجته أتمنى لهم دوام الصحة والعافية

إلى كل زملائي وزميلاتي في العمل الذين شجعوني على مواصلة الدراسة

وقدموا لي كل التسهيلات، إلى كل الأهل والأصدقاء الذين وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي

إلى كل الذين شاركوني مقاعد الدراسة وإلى كل أساتذتي وخصوصا تخصص التاريخ الوسيط

إلى كل من سقط اسمه سهوا، أهديكم ثمرة جهدي المتواضع.

❖ *السعيد باباعربي*

مقدمـــة

عرفت بلاد المغرب الإسلامي مند أن دخل الإسلام أراضيها تغيرًا جذريًا، وتطورًا في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية طيلة الفترة الوسيطيّة . وكان التطوّر الحضاري بارزا فيها بموازاة مع ما يحدث من تطوّر وتغيّر ، وتأثير سياسي في بلاد المشرق الإسلامي، أدى الى تقّلبات وقيام دول ودويلات . وفي منتصف القرن السابع الهجري ، و الثالث عشر الميلادي والموافق لانهيار الدولة الموحدية ، وانقسامها إلى دويلات ثلاث وهي: الحفصية بالمغرب الأدنى، والمرينية بالمغرب الأقصى، والزيانية بالمغرب الأوسط. وقد كانت تتصارع على مشروعية الإرث الموحدي . ورغم هذا الوضع السياسي المضطرب ، إلا أن الحياة العلمية كانت مزدهرة، حيث نشأت روح التنافس بين هذه الدويلات ، خاصة في المجال العلمي والثقافي، وَبَدا ذلك جليًا من خلال تشجيع السلاطين والملوك للعلم والمعرفة، التي تعد أداة لارتقاء الشعوب، والسمو بثقافتها، وتوجيه فكرها إلى الأفضل . ولقد ورثت الدولة الحفصية قسطا مهما من العلم والعلماء عن الدولة الموحدية المنهارة، بالإضافة إلى موقع مدنها الذي ساعد على استقبال كثير من علماء الأندلس عبر مراكزها الحضارية، فكانت تونس وبجاية ومدن أخرى حفصية قبلة للعلماء والمفكرين. كما كانت الدولة الحفصية إحدى المحطات الأساسية للحجاج والمسافرين والتجار وطلبة العلم المتجهين إلى بلاد المشرق، الذين كان لهم بالغ الأثر في إثراء وازدهار الفكر الثقافي في إفريقية وتونس من خلال المؤسسات العلمية والفكرية التي درسوا فيها أو تلقوا العلم على يد علمائها.

إن الأهمية البالغة للمؤسسات والمدارس التعليمية خلال العهد الحفصي والدور الذي أدّته في المجال العلمي والرقّي الفكري، والذي كانت فيه الدولة الحفصية سباقة وكان لها الفضل في إنشاء أولى المدارس التعليمية في بلاد المغرب الإسلامي، زاد الأمر أهمية لدراستها، وفي هذا الإطار يندرج موضوع هذه الأطروحة الموسومة ب: المؤسسات والمدارس التعليمية المالكية وأثرها خلال العهد الحفصي.

وإن من دواعي اختيارنا للموضوع عدة عوامل منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي:

ومن العوامل الذاتية هو حب الاطلاع على كل ما يخص الدول الإسلامية التي قامت في بلاد المغرب الإسلامي، وخاصة الجانب الفكري والعلمي وثقافي والحضاري، وكذلك كون الدولة الحفصية اشتملت على جزء كبير من المشرق الجزائري ووصلت حتى المناطق الصحراوية التي نقطنها، مما شدّ رغبتنا في دراستها والبحث فيها.

ومن العوامل الموضوعية: هو قيام الدولة الحفصية على أهم حواضر المغرب الإسلامي، وما تزخر به من مؤسسات ومدارس تعليمية تحتاج للبحث والغوص فيها لمعرفة كيف استحوذت الدولة الحفصية على الريادة في نشأة المدارس التعليمية والأثر المعرفي والعلمي الذي تركته إلى يومنا هذا.

أما الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على أهم المدارس والعلوم والعلماء ومناهج التدريس والأثر الذي أدته من تدعيم للمذهب المالكي كونها مدارس مالكية الأصل منهجا وتعليما، ومن أجل إبراز ذلك والوصول إلى الهدف لابد من دراسة مستفيضة للمؤسسات والمدارس التعليمية المالكية، وهذا وفق المجال الزمني للدولة الحفصية من قيامها حتى سقوطها(626-981هـ/1228-1574م)، في إطار الرقعة الجغرافية التي شملتها الدولة الحفصية.

فمن هنا يمكن طرح الإشكالية التي نود البحث فيها من خلال موضوعنا هذا.

- ما وضعية المؤسسات التعليمية والمدارس في الدولة الحفصية وكيف أثرت على واقع الحياة العلمية بإفريقية وتونس خلال العهد الحفصي ؟

ونظرا لتشعب واختلاف الجوانب التي تضمنها موضوع الدراسة، فنجد أنفسنا أمام مجموعة من التساؤلات الفرعية، فرضتها طبيعة الموضوع لابد من الإجابة عليها في عرضنا هذا وهي:

- من هم الحفصيون وكيف وصلوا لتأسيس دولة، ومن هم سلاطينها خاصة الدين ساهموا في بناء مؤسساتها ومدارسها؟
- وماهي الطرق والمناهج التعليمية وأهم العلوم التي كانت تدرّس في المؤسسات التعليمية؟

- وماهي صلة المذهب المالكي بالمدارس التعليمية المالكية، وما الدور التعليمي الذي أدته في نشر العلم في الدولة الحفصية؟

ولقد اعتمدنا في بحثنا هذا من أجل الإجابة على الإشكاليات المطروحة، حسب طبيعة الموضوع العلمية المنهج التاريخي الذي يعتمد الوصف والتحليل والمقارنة والاستنتاج، وذلك لتنظيم المعطيات والبيانات الخاصة بعناصر البحث في العهد الحفصي، لإبراز أهم المؤسسات العلمية والمدارس التعليمية، ودورها العلمي الذي تميزت به الدولة الحفصية من مناهج وطرق وأساليب، جعلت منها دولة علم ذات نسق حديث في تلك المرحلة.

ولقد كانت دراسات سابقة لباحثين أخرين في دراسة الموضوع في شق آخر، إلا أنه لازال يحتاج إلى بحث معمق، فكل جزئية ومؤسسة من المؤسسات ومدرسة من المدارس التعليمية في العهد الحفصي، تعد موضوع بحث ومن بين الدراسات السابقة أطروحات للدكتوراه والماجيستر والماستر تحمل عناوين أخرى وتناولت بعض الجوانب التي تطرقنا لها في بحثنا ونذكر من هاته الدراسات السابقة ما يلي:

- أطروحة دكتوراه بعنوان التربية والتعليم في الدولة الحفصية من القرن 7-10هـ/13-16م من إعداد الطالبة صفية الديب.
- أطروحة دكتوراه بعنوان المجالس العلمية السلطانية لبلاد المغرب الإسلامي ودورها في التواصل الفكري من القرن (07-09هـ/13-15م) من إعداد الطالبة مريم سكاكو.
- أطروحة ماستر بعنوان دور السلطان الحفصي أبي زكريا الأول في ازدهار الحياة العلمية في المغرب الأدنى خلال القرنين (7-8هـ/13-14م) من إعداد الطالبة قايد عبلة.
- أطروحة ماستر بعنوان الحركة العلمية في الدولة الحفصية (625-980هـ/1227-1475م) من إعداد الطالبتان رحماني عائشة ورحماني مريم.
- أطروحة ماجيستر بعنوان " المظاهر الحضارية في عصر دولة بني حفص مند قيامها سنة621هـ وحتى سنة893هـ من إعداد الطالبة جميلة مبطي المسعودي.

هذا ويبقى العديد والكثير من الدراسات التي درست الموضوع كل حسب منطلقه ووجهة نظره وعمق بحثه، إلا أننا بحثنا في موضوعنا بطريقة أخرى أردنا أن نضيف فيها بعض الجوانب التي غفل عنها أو تجاهلها من سبقنا، لكن الموضوع يبقى محل بحث دائم.

ولقد ساعدتنا المصادر والمرجع التي تحصلنا عليها إلى تقسيم بحثنا إلى مقدمة وثلاثة فصول، لتنتهي بخاتمة كحوصلة واستنتاجات ومجموعة من الملاحق لإثراء الموضوع.

حيث تناولنا في المقدمة أهمية الموضوع وإشكاليته، والمنهج الذي اتبعناه والصعوبات التي واجهتنا، كما اشتمل الفصل الأول على أصل الحفصين ونسبهم والظروف التي ساعدتهم على الوصول للحكم، انطلاقًا من الدولة الموحدية، وصولاً إلى تأسيس الدولة الحفصية في عهد أبي زكريا، كما أشرنا إلى أهم سلاطين الدولة الحفصية، وركزنا على من كان لهم دور أساسي وساهموا في بناء وإنشاء المؤسسات والمدارس التعليمية.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه للمؤسسات التعليمية، وذكر كل مؤسسة على حدى والتي تمثلت في

(الكتاتيب والمساجد والزوايا والربط) وتناولنا أهم علمائها ومورديها، وفصلنا في طرق ومناهج التدريس بها، والمراحل التعلمية، والإجازة وكيفية الحصول عليها، كما تطرقنا الى أهم العلوم التي كانت تدرس من علوم نقلية وعقلية ولسانية واجتماعية وأوردنا أمثلة على ذلك.

أما الفصل الثالث فقد تناول فيه : أهم المدارس التعليمية المالكية، وأعطينا لمحة تاريخية عن المدرسة المالكية ببلاد المغرب الإسلامي، وربطناها بالمدارس التعليمية المالكية وأعطينا مفهومها ونشأتها، وذكرنا أهم المدارس التعليمية المالكية في العهد الحفصي، وأهم مدرسيها وطلّابها وطرق وكيفية التعليم بها وتأثريها في في المناهج الدراسية، وكذلك في ترسيخ المذهب المالكي والدور التعليمي الذي أدته بالموازاة مع المؤسسات التعليمية التي سبقتها في النشأة واختلفت عليها في بعض الجوانب.

أما الخاتمة فقد حوصلنا فيها النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، واتبعناها بملاحق لها علاقة بموضوع البحث، ثم قائمة المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

كما اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ، مكنتنا من الإلمام بالموضوع . ومن بينها كتب تاريخية:

- كتاب" العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون ت(808هـ/1406م) من أمهات المصادر التاريخية وقد استفدنا منه فيما يتعلق بالأحداث السياسية للدولة الحفصية وعلى طرق التعليم السائدة خلال الفترة المدروسة وتعود أهمية هذا الكتاب لكون مؤلفه خبير بمنطقة المغرب الإسلامي حيث نشأ وترعرع في كنف الدولة الحفصية.
- كتاب" تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية " لأبي عبد الله بن إبراهيم الزركشي(894هـ/1488م)، تعرض فيه لتاريخ الدولة الموحدية بالإضافة إلى تاريخ الدولة الحفصية، فقد أفادنا في استنباط وذكر الأحداث السياسية و المنشآت الثقافية.
- كتاب " الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية " لأبي عبد الله محمد بن الشمّاع ت(861هـ/1457م)، وهو كتاب خاص بذكر سلاطين بني حفص والإشادة بأعمالهم السياسية والعسكرية والثقافية ومنجزاتهم العمرانية.
- كتاب " الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية " لابن قنفد القسنطيني الذي يعد من أهم الكتب التي دونت تاريخ الدولة الحفصية ،حيث أهداه مؤلفه للأمير ابي فارس وسمي بالفارسية كناية على اسم الامير كما اعتمدنا على مجموعة من كتب التراجم لترجمة العلماء والمشايخ والفقهاء التي وردت في بحثنا منها.
- كتاب " عنوان الدراية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية " لأبي العباس أحمد الغبريني ت(704هـ/1304م)، ويتميز هذا الكتاب بالشمول وتسجيله لبعض الأحداث التاريخية، وهو عبارة عن تراجم لمشاهير وأعلام بجاية في القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، احتوى على العديد من شيوخ العلم وعلماء التصوف كما أعطانا صورة صادقة عن الحياة الثقافية للدولة الحفصية، ويعد من أهم مصادر الفترة الحفصية.

كما اطلعنا على مجموعة من المراجع التي سهلت لنا عملية البحث ومهدت صعوبة المعلومات الموجودة في المصادر ونذكر منها:

- كتاب " تاريخ إفريقية في العهد الحفصي " لوربار برنشفيك تناول فيه تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن الثالث العشر ميلادي إلى القرن الخامس عشر ميلادي، يتألف من جزأين تناول في الجزء الأول الحياة السياسية بشكل مستفيض وفي الجزء الثاني تناول المؤسسات الثقافية وأنشطة الحياة اليومية وغيرها، ولقد أفادنا هذا الكتاب في دراسة الأحوال السياسية والثقافية للدولة الحفصية.
- كتاب " مدينة تونس في العصر الحفصي " لعبد العزيز الدولاتي والذي تناول فيه الأنشطة الثقافية والاجتماعية.
- كتاب " السلطنة الحفصية " لمحمد العروسي المطوي، وهو دراسة وافية ومستفيضة عن الأحوال السياسية التي شهدتها بلاد المغرب الأدنى خلال الفترة الحفصية.

كما كان لكتب الرحلة دور مهم في سرد ما شاهده الرحالة خلال رحلاته في بلاد الدولة الحفصية نذكر منها:

- " كتاب الرحلة المغربية " للعبدري البلنسي والمسماة كذلك "برحلة العبدري "بدأها من المغرب الأقصى سنة (681هـ/1282م) أين وصف في رحلته الأثار القديمة والأماكن المختلفة في مدن المغرب الإسلامي التي مر بها أثناء رحلته كبجاية ومليانة وبونة وقسنطينة، ودون واصفا ما رآه من المظاهر الثقافية والفكرية وأشار خلالها إلى تراجم الكثير من شخصيات العلم والأدب.
- كتاب " رحلة القلصادي" المعروفة بتمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب لأبي الحسن علي القرشي البسطي القلصادي ت(891هـ/1486م) حيث كان من الرحالة الحرصين على طلب العلم أين قام بأداء فريضة الحج وأثناء ذلك كان يتوقف في كثير من المدن يتلقى العلم على كبار علمائها، حيث صور لنا في رحلته ازدهار الحياة العلمية والثقافية بالدولة الحفصية، حيث قال حسب ملاحظاته في كتابه

السالف الذكر" أن سوق العلم حينئذ نافقة، وينابيع العلوم على اختلافها مغدقة، حيث لا ترى مدرسة أو مسجدا إلا والعلم فيه يبث وينشر"

كما لا يخفى على أحد أن الباحث في هذا المجال يتعرض لصعوبات منها تطرق أغلبية المصادر للجانب السياسي، وقلة الاهتمام بالجانب الفكري والحضاري والعلمي، إلا ما كان في ذكر ما أنجزه احد السلاطين أو ما قام به أثناء حكمه، وفق ما تقتضيه الوضعية السياسية في العصر الوسيط في الدولة الحفصية، مما جعلنا نستخلص منها ما نصبوا إليه، إلا أن أكبر صعوبة واجهتنا هي الظرف الذي كان فيه البلد يعج بوباء كرونا الذي أدى الى الحجر مما حد من تحركنا ، وقلل من التواصل بيننا وبين المشرف علينا ، بالرغم من وسائل التواصل الاجتماعي التي لم تكن كافية لضبط مذكرتنا بصفة مباشرة.

الفصل الأول

لمحة تاريخية عن الدولة الحفصية

- **المبحث الأول: أصل الحفصيين**
- **المبحث الثاني: الظروف المساعدة على ظهور الحفصيين**
- **المبحث الثالث: تأسيس الدولة الحفصية**

المبحث الأول: أصل الحفصيين ونسبهم

ينسب أصل الحفصيين إلى النسب الشريف، حيث يرى المؤرخون أنهم ينتسبون إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أي من عرب قريش وانتسابهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، ومنهم من يرى أنهم ينتسبون إلى جدهم الشيخ أبي حفص عمر بن يحي الهنتاتي الذي يعود نسبه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث يعد أبو حفص عمر من أصحاب المهدي بن تومرت، العشرة[2] الذين يسمون بالجماعة، وتشير بعض المصادر أن اسمه الحقيقي " فاصكة بن ومزال" وأن ابن تومرت هو من سماه بأبي حفص عمر، وأطلق عليه لقب " المبارك"[3].

ويعود أصل الحفصيين إلى قبيلة هنتاته المصمودية، وهي إحدى القبائل الكبيرة ، التي كانت تشكل قوة وسند الدولة الموحدية، وكانت جميع القبائل المصمودية تأتمر بأمر أبي حفص عمر[4]، الذي كان رفيع الشأن في الدعوة الموحدية وأرسى أسسها، ومهد لخلافة عبد المؤمن بن علي، بعد وفاة ابن تومرت سنة (524هـ/1129م).

توفي أبو حفص عمر سنة (571هـ/1175م)[5]، تاركا العديد من الأولاد الذين تولوا مناصب رفيعة في الدولة الموحدية ومنهم إبراهيم وإسماعيل ومحمد ويحي وموسى وعبد الواحد الذي كانت له مكانة عالية، وأصبح كبير أشياخ[6] الموحدين وذا نفود في الدولة الموحدية[7].

1 حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج4، ط14، دار الجيل، بيروت ،1996، ص 303.

2 المسمون بالعشرة: عبد الواحد الشرقي، عبد المؤمن بن علي، عمر بن عبد الله الصنهاجي، الشيخ عمر بن ابي حفص، يوسف بن أبي سليمان، عبد الله بن سليمان، أبو عمران موسى بن علي الضرير، أبو إبراهيم أسماعيل الهزرجي بن بخيت، و أيوب الجدميوي، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، شرح صلاح الدين الهواري، ط 1،المكتبة المصرية بيروت ص275- 276.

3 عبد الواحد المراكشي، نفسه ، ص 189- 190.

4 عبد الواحد دنون طه، تاريخ المغرب العربي، دار النشر المدار الإسلامي،2004 ، ص 395.

5 عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر،ج6، ط2، ضبط ومراجعة خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2000 ص 360.

6 أشياخ، لقب اطلق على أبناء البيت الحفصي، لمكانة والدهم الرفيعة في الدولة الموحدية، أنظر عبد الواحد المراكشي، مصدر سابق، ص 245.

7 إبراهيم بلحسن، العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن(7- 9هـ /13- 15م)، رسالة ماجيستير، جامعة تلمسان، 2004-2005، ص 20.

المبحث الثاني: الظروف المساعدة على ظهور الحفصيين

لقد كان للأوضاع السائدة في بلاد المغرب، دور مهم في بروز الحفصيين، حيث كان المناخ مهيأ وقد ساهمت عدة عوامل وظروف منها الدينية والاجتماعية والسياسية، والتي كانت أهم العوامل التي ساعدت على ظهور الدولة الحفصية.

1- العوامل الدينية والاجتماعية:

لقد اعتبر الموحدون أنفسهم أهل التوحيد، وفرضوا عقيدتهم المبنية على أراء ابن تومرت وفرضوها على سكان المغرب الإسلامي والأندلس، وألزموهم بإتباع منهجهم، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوها عنوة ، وكفروا كل من خالفهم وأباحوا دماءهم وأموالهم وحرمتهم، ووجهوا نفس التهمة لمن بقي على طاعة المرابطين من الرعية. وهذا ما ساهم في كره الرعية لهم، التي كانت تتحين الفرصة للانقضاض عليهم[1]، وما إن ظهرت بوادر الضعف في الدولة الموحدية، حتى أظهر الرعية البغض في قلوبهم اتجاهها، وساهموا في معظم الثورات لإسقاطها.

كما كانت نتيجة تغيير نظام الحكم المبني على الشورى والبيعة الذي وضعه ابن تومرت، وغيره عبد المؤمن بن علي، من حكم شوري إلى حكم وراثي واستئثاره وابنائه من بعده بالحكم، مما أدى إلى التنافس والعداء والمكائد، مما أثر على الحياة الاجتماعية للرعية، من ظلم واستبداد، وحروب من أجل الحكم دفع ضريبتها الرعية، كانت كلها مجتمعة ساهمت في نهاية الدولة الموحدية، وهيأت الظروف لإستخلافها بدول أخرى منها الدولة الحفصية.[2]

1 عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 188.

2 زينب نجيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تح سعاد المستشار واحمد بن سودة، ج2، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت لبنان، 1995، ص 420.

2- العوامل سياسية:

لقد كانت للظروف السياسية دور مهم، في ظهور الدولة الحفصية، وفي ظل الظروف التي كانت تمر بها الدولة الموحدية، من أحداث وصراعات خارجية وداخلية، تجلت في المدّ النصراني واسترجاعهم الكثير من المدن، وانهزام الموحدين في معركة حصن العقاب سنة(609هـ/1212م)[1]،التي كشفت عن ضعف الدولة وتفككها، وهذا ما عاد بالسلب على الأحوال الداخلية للدولة، واندلاع ثورات في شتى أقطار الدولة، هيأت الظروف لقيام الدولة الحفصية، مثل ثورة بني غانية[2] والتي تعد من أعنف الثورات، حيث حاربوا الموحدين بكل قوة واستمرت ثوراتهم لخمسة عقود متتالية، خلفت الدمار والخراب بالمدن والعمران وشتت المجتمع وتدهور الاقتصاد الموحدي، من كثرة النفقات على الجيش، مما أرهق خزينة الدولة وساهمت في تفكيك أركانها[3].

كما تعرضت بلاد المغرب في عهد الموحدين إلى هجومات وحملات عسكرية، في العهد الأيوبي، وإرسال خادمهم قرقوش[4]، والتي كان هدفها تكوين خط دفاعي يحمي مصر من مخططات الموحدين، ودعموا ثورة بني غانية المعارضة للموحدين لكن جميع هذه ثورات تم القضاء عليها[5].

ولقد ساهمت عدة عوامل في انهيار دولة الموحدين وهيأت الظروف لقيام الدولة الحفصية منها:

1- هزيمة الجيش الموحدي في معركة حصن العقاب ضد النصارى.

2- التشتت الداخلي بين القبائل، وميلها للاستقلال والسيطرة على مناطق نفوذها.

3- الابتعاد عن روح الحركة الموحدية دينيا[6].

---

1 حصن العقاب: يدعى حصن سالم، هاجم فيه الادفنش المسلمين وهزم الموحدون شر هزيمة، أستشهد فيها خلق كثير، ينظر المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي، ص 54.

2 بنوغانية، ينسبهم المؤرخون إلى أمهم غانية المرابطة الحاكمة، وكان والدهم علي بن يوسف من أعيان وقادة المرابطين، انظر، عبد الواحد المراكشي المصدر السابق، ص 151- 153.

3 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6 ص 360- 412.

4 قراقوش، هو قائد ووزير في الدولة الأيوبية، كان خادما لصلاح الدين وقيل خادما لأسد الدين شريكه، وتم عتقه، وكانت له مكانة علية، ينظر الأصفهاني، في الفتح القدسي، تح محمد محمود صبح، ج5، المطبعة الخيرية، القاهرة سنة 1965، ص 54.

5 ابن الابار، الحلة السيراء، تح حسين مؤنس،ج2، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963، ص 124.

6 مغزاوي مصطفى، التحولات، المذهبية في المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها، دار نور للنشر، د ب ،2017، ص 131.

4- التخلي عن نهج ابن تومرت، في الحكم الشوري، واستبداله بالوراثي.

5- اتساع مساحة الدولة الموحدية، وبعد مناطق التوتر عن عاصمة الدولة، وقيام الثورات بها، مثل ثورة بني غانية.

6- ضعف الخلفاء الموحدين المتأخرين، وانغماسهم في اللهو والترف، وتسلط اشياخ الموحدين على الدولة.

7- تفشي ظاهرة الفساد الإداري، وكثرة التمردات والثورات، والأطماع الانفصالية[1].

لقد أدت هذه العوامل وغيرها، دورا مهما في تفكك الدولة الموحدية وهيأت الظروف المواتية لقيام الدويلات الثلاث منها الدولة الحفصية.

المبحث الثالث: تأسيس الدولة الحفصية

إن دولة الموحدين كانت تحمل بين ثناياها بذور الضعف وعوامل الانهيار في مراحلها الأخيرة، لهذا كان سقوطها مسألة وقت، فكانت موقعة حصن العقاب بالأندلس الضربة القاسمة التي شطرتها إلى دويلات . والدولة الحفصية تعد أسبق الدول – التي قامت على أنقاض الدولة الموحدية – ظهورا بالمغرب الأدنى . و تجدر الإشارة إلى أن الحفصيين كانوا من أهم المساعدين للموحدين في الدفاع عن دولتهم. بالإضافة إلى مكانتهم عند قبائل البربر . لذلك بعد استقرار الأوضاع واستتباب الأمن، وقبل عودة الناصر إلى مراكش بعد القضاء على ثورة بني غانية خشي من عودة الاضطرابات إليها مرة أخرى ، فاستشار أشياخ البلاط ، فأشاروا عليه بأبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص[2]،

إذْ كان الأكثر قدرة لتولي أمر ولاية إفريقية ، وتسيير أمورها ورعاية شؤونها ، لضمان استمرار ولائها وتبعيتها لدولة الموحدين، نظرا لبعدها عن مراكش مركز الدولة[3].

1 ابن عذاري، المصدر السابق، ص 360.

2 ابن قنفذ الفارسية ،مصدر سابق ،ص 105.

3 محمد العروسي المطوي ، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص 100.

غير أن أبا حفص لم يقبل بذلك، إلا بعد جهود كبيرة بُذلت لإقناعه. ولقد اشترط على الناصر عدة شروط قبل الموافقة من بينها : أن يتلقى كل المساعدات اللازمة من الخليفة، ومنحه مطلق التصرف في إدارة وتسيير أمورها، كي يستطيع القيام بشؤونها ويقضي علي الفتن والثورات المستمرة ، خاصة وأن المسافة بعيدة بين تونس ومراكش عاصمة الموحدين . فأسند له أمرها فتوجه إلى تونس سنة (603هـ/1206م)[1]. ولقد كان لأبي محمد عبد الواحد دور كبير في توطيد أركان الدولة الحفصية الناشئة، فبعد قمع حركة بني غانية نهائيا في معركة جبل تاجر وفراره اتجاه الجنوب حيث عاث في إفريقية فسادا . دامت فترة ولاية أبي محمد أكثر من خمس عشرة سنة فنعمت إفريقية بالأمن والهدوء فترة طويلة حتى وفاته بمدينة تونس سنة (618هـ/1221م)[2].

بعد وفاة أبي محمد عبد الواحد خلفه ابنه أبي زيد حيث نجح في القضاء على الاضطرابات التي عادت إلى إفريقية، لكن تم عزله بعد ثلاثة أشهر من طرف الخليفة المستنصر، حيث خشي أشياخ الموحدين من أبناء أبي حفص من الاستقلال بإفريقية، وفي عهد الخليفة العادل أعاد أبناء عبد الواحد إلى افريقية وعين أبي محمد عبد الله الحفصي عليها سنة (623هـ/1225م)[3]، وبعد دخوله تونس عين أخويه أبا زكريا يحي واليا على قابس وأبا إبراهيم واليا على قسطيلية ببلاد الجريد، وقد حدثت تطورات حيث اضطربت أحوال دولة الموحدين بعد قتل العادل سنة (624هـ/1226م) وخلفه يحي المعتصم الذي استمال أبا زكريا فطلب منه البيعة فوافق بعد رفض أخيه أبا محمد الذي قبض عليه شيوخ الموحدين وتزكية أبي زكريا يحيي بالولاية[4].

1 محمد السراج ،الحلل الأندلسية في الاخبار التونسية، ج1، تح محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1970 ، ص 492.

2 عنان محمد عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ج2، ط1، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، 1964، ص145 .

3 ابن قنفذ الفارسية ،مصدر سابق ، ص 106.

4 ابن أبي دينار محمد ابن أبي القاسم، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، دار المسيرة، لبنان،1993، ص131 .

بويع في رجب سنة (627هـ/1229م) وأعلن انفصاله عن الموحدين وأرغمت القبائل العربية على الاعتراف بخضوعها للأمير الحفصي[1].

وقد اتبع أبو زكريا سياسة الموحدين الدينية، كما ظلت الدولة الحفصية محافظة على دعوة الموحدين ومتمسكة بتعاليم المهدي في بداية الحكم، ولم ينفر العامة من تلك التعاليم، لأنها لا تتنافي مع المذهب المالكي الذي يعتنقونه، لقد أقره الأمراء الحفصيون إقرارًا نهائيًا في البلاد وهذا يعود إلى نجاح سياسة أبي زكريا التي تهدف إلى غرس المبادئ الدينية في نفوس الناس، لذا عمل على إنشاء المساجد الكبيرة ومنها جامع القصبة وصومعته التي نقش عليها اسمه وكان بناؤه سنة (633 هـ/1236م)، كما بنى جامعًا بوركلا[2]، وتوفي في بونة سنة (647 هـ/1250م)[3].

أولا: الإطار الجغرافي للدولة الحفصية:

إن إقليم تونس كان يسمى إفريقية في القديم، وهذه الكلمة مشتقة من اللفظ اللاتيني أفريكا، الموروثة عن العصور القديمة، وكانت به مدينة قرطاجة، ويحده من الجهة الغربية اقليم قسنطينة، ومن الجهة الشرقية إقليم طرابلس، ومن الجهة الجنوبية جبال الأطلس، وإقليم بلاد الزاب، وجزء من نوميديا، وليبيا الشرقية، أما من الناحية الشمالية فيحده البحر المتوسط[4]، ومن التسميات التي أطلقت على هذه المنطقة الجغرافية، اسم بلاد المغرب الأدنى، وكانت عاصمتها مدينة القيروان، في عهد الأغالبة ثم، المهدية في العهد الفاطمي، ثم مدينة تونس في عهد الحفصيين، التي كانت تشمل تونس حاليا، والإمارات المستقلة في كل من بجاية وقسنطينة[5].

1 محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من العصور ما قبل التاريخ إلى الإستقلال، تع محمد شاوش، ط3، دارسراس، 1993، ص53.

2 وركلا: وهي مدينة ورقلة حاليا ، بالجنوب الشرقي الجزائري، وقد أطلق عليها عدة أسماء، حسب لسان القبائل التي سكنت المنطقة، منها: واركلة، وركلا، ورجلان، وارقلة، ورقلة...، ينظر مقال للأستاذ أحمد ذكار، مدينة ورقلة التسمية والتأسيس دراسة تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة قاصدي مرباح ورقلة، العدد 17، ديسمبر 2014، ص ص160-163

3 زينب نجيب، المرجع السابق، ج3، ط1، ص182.

4 روبار برنشفيك، أفريقية في العهد الحفصي، من القرن13م إلى نهاية القرن15م، ترجمة حمادي الساحلي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان ،1998، ص29.

5 أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعة ،الاسكندرية،2001، ص10.

ثانيا: أبرز حكام الدولة الحفصية :

لقد تعاقب على حكم الدولة الحفصية مجموعة من الأمراء والسلاطين ، وقد انتقينا من بينهم أبرز الحكام الذين كان لهم الأثر البارز من الناحية الثقافية والعلمية ومنهم :

1- الأمير أبو زكريا يحي (599-647هـ/1202-1249م):

هو أبو زكريا يحي بن عبد المولى أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص عمر الهنتاتي . ينتهي نسبه الى عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مؤسس الدولة الحفصية، ولد بمراكش وهو أول أمرائها . أعلن انفصاله عن الدولة الموحدية أخذ البيعة في مدينة القيروان، سنة (625هـ/1228م) ، وتسمى بالبيعة الأولى انتقل إلى تونس، ويوم وصوله إليها جددت له البيعة الثانية سنة (634هـ/1237م) والتي تسمى البيعة العامة التي مكنته من الجلوس على كرسي الملك في القصبة . وبدأ في إدارة ومباشرة أعمال ولايته، كان يتمتع بنضج سياسي كبير، لقب بالأمير وبسط سلطانه على تونس ثم بايعه معظم أهل الأندلس سنة (637هـ/1240م)[1].

لقد أصبح أبو زكريا الشخصية الأقوى في كل بلاد المغرب، فشرع في رسم حدود دولته الفتية وتثبيت سلطانه بعدما قضى على الفتن المزمنة، من أبرزها ثورة يعقوب بن يوسف بن محمد الهرغي الذي ولاه أبي زكريا على طرابلس ، فاستبد بالأمر وجمع ثروة عظيمة، وحاول الانقلاب على أبي زكريا، ولكن ثار الأهالي ضده، مما جعلهم يدبرون له مكيدة انتهت بقتله وقتل أنصاره. وثورة رجل يدعى محمد بن محمد الجوهري الأندلسي . وفد على تونس وتقرب من أبي زكريا حتى جعله صاحب منصب الأشغال . وقد استطاع أن يكون لنفسه أموالا عظيمة[2]، كما كون قوة عسكرية خاصة به، وقد كشف أبو زكريا أمره، فرأى أن يحد من نفوذه قبل استفحال أمره فقبض عليه وأودعه السجن في موضع بالقصبة ثم قتل، وأيضًا ثورة بني غانية، التي تعتبر من أخطر الحركات التي عجز الموحدون عن إخمادها والتي دامت طويلا وأضرت بالأمن، فخرج إليهم ففتك بهم وأخمد فتنتهم[3].

1 لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان،ج1، ط2، مكتبة الخانجي القاهرة، 1973، ص313.

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 295 .

3 ابن قنفذ ، الفارسية ، المصدر السابق، ص108.

عكف أبو زكريا على حفظ الأمن ، وعاش الناس في رفاهية، فرخُصت الأسعار ، وآمنت الطرق ، وجمع بعدله وسياسته أموالا لا تحصى، حيث ترك سبعة عشر بيتا من المال . ومن الكتب ستة وثلاثين ألف مجلدا . وازدهرت البلاد في مختلف المجلات، حيث عرفت تقدما حضاريا عظيما فكان من أبرز رجالات القرن السابع الهجري لم يسم نفسه أمير المؤمنين حتى وفاته سنة (647هـ/1249م)[1].

2- أبو عبد الله محمد الملقب بالمستنصر بالله (647-675هـ/1249-1277م):

هو ابن المولى أبي زكريا بن عبد المولى أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ولد سنة (625هـ/1228م) يعتبر أول من تلقب بالخليفة، تولى الحكم سنة (647هـ/1249م) وعمره اثنتان وعشرون سنة، وصلته البيعة من مكة سنة(657هـ/1259م) وتسمى بأمير المؤمنين ولقب بالمستنصر بالله، أظهر مظاهر العظمة من خلال القيام بعدة إنجازات، من أهمها إتمام إنجاز الساقية التي تجلب الماء من عيون زغوان إلى قرطاج فأوصله إلى العاصمة تونس سنة (668هـ/1270م)، أحدث حديقة صيد قرب بنزرت، و قرب إليه أهل العلم من العلماء والأدباء[2].

في عهده شن ملك فرنسا لويس التاسع[3] حملة عسكرية على الدولة الحفصية، التي كانت أخر معاقل المسلمين سنة (675هـ/1277م)، حيث استغل فرصة انتشار المجاعة والوباء في تونس، فطلب الإذن من بابا الكاثوليك ودعمه المادي، فانضم إليه ملك إنجلترا ومللك برشلونة[4] لكن الحملة انتهت بالفشل، وتم إبرام معاهدة بين الطرفين، فكان عهد المستنصر العصر الذهبي للدولة الحفصية توفي خلال نفس العام (675هـ/1277م)[5].

1 الزركشي، المصدر السابق، ص ص 30- 32.

2 المقريزي أبو العباس، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار،ج1، ط2، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 1987، ص 461.

3 لويس التاسع، والمعروف بلويس القديس، ابن لويس الثامن وأمه بلانش ابنة ألفونسو التاسع ملك قشتالة، تولى حكم فرنسا وعمره12سنة تحت وصاية والدته من (1226-1236م)، وتوفي بقرطاج بتونس، ينظر رسالة دكتوراه، لويس التاسع والنشاط الفرنسي الصليبي من معركة المنصورة (648-669هـ/1250-1270م) ، خالد حسين الدكيفي ،جامعة دمشق، 2011، ص ص 34-35 .

4 المقريزي، المصدر نفسه،ج1، ص ص 460-461.

5 ابن أبي دينار، مصدر سابق، ص136.

3- أبو زكريا يحي الملقب بالواثق بالله (675-678هـ/1277-1279م):

هو يحي بن محمد بن عبد الواحد بويع سنة (675هـ/1277م) يوم وفاة والده، في عهده أمر بالنظر في بناء جامع الزيتونة، ورفع المظالم وأحسن إلى الجند، أطلق سراح المسجونين ونظرا لضعف شخصيته غلب على أمره ابن الغافقي، الذي كان متعسفا متكبرا لا يحسن شيئا من سياسة الملك والرعية مما أدى الى فساد الملك، وخرج عليه عمه أبو إسحاق إبراهيم الذي فر إلى الأندلس أيام المستنصر فعاد إلى تونس فضيق على الواثق فخلع نفسه وبويع عمه بالخلافة سنة (678هـ/1279م) سكن بدار الغوري بسوق الكتبيين حتى وفاته سنة (679هـ/1280م)، دامت فترة حكمه سنتين[1].

4- أبو إسحاق إبراهيم(678-681هـ/1279-1283م).

5- أبو أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة (681-683هـ/1283-1284م):

6- أبو حفص عمر يحي(683-694هـ/1284-1295م)[2].

7- ابو عبد الله محمد الثاني الملقب بأبي عصيدة (678-709هـ/1279-1308م):

هو ابن أبي يحي، وقد عرف بالمنتصر بالله تولى الحكم سنة (694هـ/1295م)، في عهده عزم على توحيد الدولة الحفصية، عرف بأبي عصيدة لأن الشيخ أطعم الفقراء يوم مولد عصيدة حنطة، يشير ابن الشماع أن فترة حكمه دامت أربع عشرة سنة، وقد عرف عهده نموا وازدهارا توفي سنة (709هـ/1307م) ولم يخلفه أبناؤه[3].

8- أبو يحي أبو بكر الشهيد(10 ربيع الآخر 709هـ/1309م).

9- أبو البقاء خالد الاول(709-711هـ/130م1311م) .

10-أبو يحي زكريا الأول بن اللحياني (711-717هـ/1311-1317م).

11- أبو عبد الله محمد أبو ضربة (717-718هـ/1311-1318م)[4].

1 إبن ابي دينار، مصدر سابق، ص ص 127-128.

2 نفسه، ص 176

3 ابن الشماع، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربي للكتاب ،1984،ص83 .

4 نفسه، ص136

12- أبي يحي أبو بكر(718-747هـ/1318-1346م).

13- أبو حفص عمر للمرة الأولى (747هـ/1346م).

14- أبو العباس أحمد (747هـ/1347م).

- أبو حفص عمر للمرة الثانية (748 هـ/1347م)[1].

- استيلاء أبي الحسن المريني على إفريقية (748-750هـ/1347-1350م).

15- أبو العباس أحمد الفضل (750-751هـ/1350-1351م).

16- أبو إسحاق إبراهيم الثاني (751-770هـ/1351-1369م).

17- أبو البقاء خالد الثاني (770-772هـ/1369-1370م).

18- أبو العباس أحمد (772-796هـ/1370-1394م)[2].

19- أبو فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1434م):

المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز بن أبي العباس أحمد الحفصي ولد بقسنطينة سنة(762هـ/1361م)، بويع بالخلافة سنة(796هـ/1394م) حكم أكثر من 40 سنة، شهد عهده ازدهارا كبيرا في شتى الميادين، كما عرفت الحركة العلمية في عهده نشاطا كبيرا واشتهر برعاية العلماء، ومن حسناته خزانة الكتب المشتملة على أمهات الدواوين بالقرب من الجامع الأعظم ، يعتبر من آخر السلاطين العظماء توفي سنة (837هـ/1434م)[3].

20- أبو عبد الله محمد السادس المنتصر(837-839هـ/1434-1435م):

هو محمد ابن المولى أبي عبد الله محمد بن أمير المؤمنين أبي فارس عبد العزيز بويع يوم عيد الأضحى سنة(837هـ/1434م) وكان شجاعا وكريما، تصدق بالمال على أهل المدارس وذوي الحاجات والأرمل والأيتام، كما أمر ببناء زاوية الشيخ أحمد بن عروس وبنى سقاية الماء بداخل باب أبي سعدون وحبس عليها أوقفًا كثيرة تكفيها[4].

1 ابن الشماع ، المصدر السابق، ص 139

2 ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص 156

3 الزركشي، تاريخ الدولتين، ص 114.

4 ابن أبي دينار، المؤنس ، المصدر نفسه، ص 136.

وشرع في بناء مدرسة ضخمة- المدرسة المنتصرية- بالقرب من سوق الفلقة بتونس، وأدركته المنية قبل إتمامها وكانت ولايته عاما واحدا وشهرين وتوفي سنة(839هـ/1435م)[1].

21- أبو عمرو عثمان بن محمد المنصور(839-894هـ/1435-1488م):

خَلَفَ أخاه أبا عبد الله محمد السادس المنتصر، حكم الدولة الحفصية لمدة تفوق نصف قرن، وقد واصل عمل جده أبي فارس، ويمكن تقسيم عهده إلى ثلاث فترات[2]:

- الفتره الأولى:

تمتد بين (836-853هـ/1435-1452م): وقد تميزت بطول التمردات على حكمه، إذ ثار عليه كل من عمّ أبيه أبي عبد الله محمد الحسين بن السلطان أبي العباس، وعمّه أبي الحسن بن السلطان أبي فارس الذي قاوم جنود السلطان لمدة سبعة عشر عاما وفي نفس الوقت قام السلطان أبو عمرو عثمان بإخضاع المناطق الجنوبية لإفريقية، من جهة والأراضي الطرابلسية من جهة أخرى[3].

- الفترة الثانية:

تمتد بين (853-871هـ/1453-1470م) كانت هذه الفترة أقل ازدهارًا وأمنًا بالمقارنة مع الفترة الاولى، فقد ظهر خلالها الوباء أكثر من مرة، كما ظهرت المجاعة حتى أن الحكومة كانت توزع الخبز على الناس، بالإضافة إلى ثورة بعض القبائل وقد واجهها أبو عمرو عثمان في مضاربها، وطاف عدة مرات في جميع أرجاء بلاده إلى أن وصل الأراضي الطرابلسية جنوبا، يقول ابن الشماع: "ومن مآثره ملازمته للسفر في كل عام لردع المفسدين في الأرض، وكفهم عن أدية العباد، وقد نصره الله عليهم في مواطن كثيرة بنيته الصادقة"[4].

1 ابن أبي دينار، المؤنس ، المصدر السابق ،ص 136.

2 روبار برنشفيك، المرجع السابق،ص272 .

3 برنشفيك، المرجع نفسه، ص306 .

4 ابن الشماع، الأدلة البينة، المصدر السابق،ص132

- القترة الثالثة:

تمتد بين (871-889هـ/1470م-1488م(وهي فترة ازدهار، وقد وصف أحد الرحالة الأوروبيين أبا عمرو عثمان قائلا إنه "أعظم وأقدر وأثرى ملك من الملوك المغاربة" ولقد تميزت فترة حكمه بعلاقاته الودية مع كل من مماليك مصر والسلاطين العثمانيين وكذا مع غرناطة الإسلامية التي كانت تعيش آنذاك المحنة في آخر عهدها قبل سقوطها عام (897هـ- 1492م) وأرسل بعض الإعانات المالية في سبيل الجهاد، وفي هذا المعنى يقول ابن الشماع إن من مآثره "صدقته الجارية في كل عام على أهل جزيرة الأندلس إعانة لهم على ما هم بصدده من جهاد عدو الدين" [1].

كما اهتم بالجانب التعليمي والعلمي والثقافي من خلال ارساء مؤسسات علمية وتعليمية كثيرة ، وبناء المدارس وأهمها تلك التي تقع إزاء زاوية سيدي محرز عام(840 هـ/1480 م)، كما استكمل المدرسة المنتصرية التي شرع في بنائها أبو عبد الله محمد المنتصر بالله، ويقول ابن الشماع: "ومن مآثره تكملته بناء مدرسة سوق الفلقة التي شرع في بنائها المولى أبو عبد الله المنتصر فأكملها على أكمل بناء وأتقنه، وأوقف عليها وقفا مؤبدا كافيا لها ولمن بها من الطلبة والقومة. فعمرت عمارة قوية، وحصل ثوابها، في ميزان حسناته" وازدهرت الحركة العلمية والأدبية في عهده بوفرة عدد العلماء والأدباء [2].

كما اهتم بالكتاتيب، ومن مآثره بناء ثلاثة مكاتب لقراءة القرآن، كما أسس مكتبة بجامع الزيتونة وجعلها مفتوحة أمام المستفيدين ، وجعل عليها موظفين للاعتناء بها، وفي هذا المعنى يقول ابن الشماع: "من مآثره إخراجه لخزانة الكتب التي بقصره المشتملة على أمهات الدواوين والمعدومة المثال، وجعل لها خزانة بالمقصورة الشرقية من الجامع الأعظم، وجعل لها قومة يقومون بها وقت الانتفاع بها وقتا محدودا، وأوقف عليها وقفا مؤبدا كافيا، فعم نفعها وعظم ثوابها"[3]

1 ابن الشماع، المصدر سابق، ص ص122- 126.

2 عبد العزيز الدولاتي، مدينة تونس في العهد الحفصي، تح محمد الشابي، دار سراس للنشر،تونس،1982 ص156.

3 ابن الشماع، المصدر السابق، ص ص124-125 .

22- أبو زكريا يحي الثالث 894-895هـ/1488-1489م

23- عبد المؤمن 895 هـ /1489م

24- أبو يحي زكريا الثاني 895-899هـ/1489-1494م

25- أبو عبد الله محمد الخامس(899-932هـ/1494-1526م)[1]

26- محمد بن الحسن (981-982هـ/1573-1574م):

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن، وهو آخر السلاطين الحفصيين، نصبه الإسبان على العرش سنة (981هـ/1573م) بعد احتلالهم لمدينة تونس، مقابل شروط مجحفة وضعوها لمساعدته على استرجاع ملك أجداده من العثمانيين، في حين رفضها أخوه مولاي أحمد، واستمر في الحكم تحت الحماية[2].

الإسبانية، إلى أن حررت تونس بعد الحملة العثمانية علي يد سنان باشا سنة (982هـ/1574م) وفي عهده كما يقول بن أبي دينار درست بأرجل الكفرة معالم المدارس وتفرقت جميع ما فيها من دواوين العلوم، كما طرحت الكتب في الشوارع، حتى أصبح المار من شرقي المسجد يمر على الكتب، كما قيل أن النصارى ربطوا خيولهم بالجامع الأعظم، وبعد سيطرة العثمانيين على جميع أراضي الدولة الحفصية أرسلوا أبا عبد الله بن الحسن الى إسطنبول، وبقي حبيس منزله إلى غاية وفاته[3].

ولقد كان لجل أولئك السلاطين دور كبير في بناء ودعم المؤسسات و المدارس التعليمية، في العهد الحفصي والتي سنتناولها في الفصل الثاني بالتفصيل.

1 ابن الشماع، المصدر السابق، ص 139.

2 ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص 175.

3 ابن ابي دينار، المصدر نفسه، ص 176.

الفصل الثاني

المؤسسات التعليمية وطرق التعليم في العهد الحفصي

- ❖ المبحث الأول: المؤسسات التعليمية
- ❖ المبحث الثاني: طرق ومناهج التدريس
- ❖ المبحث الثالث: أهم العلوم التي كانت تدرّس

المبحث الأول: المؤسسات التعلمية في العهد الحفصي

1 – الكتاتيب:

تعد الكتاتيب من أول المؤسسات العلمية وجودا في العالم الإسلامي . اشتق اسم الكتاتيب من الفعل كتب، كما اشتق اسم الكتاب من تعليم الكتابة، والكتاب مؤسسة تعليمية ظهرت قبل الإسلام لتعليم القراءة والكتابة بدأ تأسيسه في النصف الأول من القرن الأول، وبعد الإسلام أضيف إليها تحفيظ الصبية القرآن الكريم وتعليمهم تعاليم الدين الإسلامي والخط والحساب، وتعد الكتاتيب النواة الأولى لتعلم أبجديات قواعد اللغة العربية[1].

إن نظام الكتاتيب كان شائعا في صدر الإسلام ، واستمر بعده عبر العصور الإسلامية . وكانت عبارة عن بناء بسيط واسع مفروش بحصير أو ما شابهه ، يجلس عليها الصبيان متربعين في شكل نصف دائرة حول المعلم الذي يجلس على سرير أو كرسي مرتفع . وقد يكون الكتاب مكانا مستقلا، يتسع لمجموعة من الصبيان أو غرفة في منزل أو بجوار زاوية أو حجرة ملحقة بالمسجد بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة خوفا من النجاسة وحفاظا على طهارتها[2]، لقد كانت الكتاتيب منطلقا لنشر التعاليم الدينية الصحيحة لهذا تزايد انتشارها وكثر عددها، وفي العهد الحفصي تذكر بعض المصادر أن السلطان أبا زكريا حين مروره على الكتاب في الطريق كان يأمر معلم الأولاد بإخراج الصبيان ليدخل عليهم السرور والبهجة[3].

لقد شهد العهد الحفصي كتاتيب خاصة، هي التي نجدها لدى بيوتات الملوك والأمراء والوزراء وأصحاب البلاط، أما الكتاتيب العامة كانت منتشرة في كامل البلاد، وهذا ما ذهب إليه روبار برنشفيك في قوله..."كان يوجد مكتب في القصر السلطاني خاص بالأمراء الصغار، أو أبناء الطبقة الحاكمة والعاملين في البلاط"[4].

---

1 ابن منظور، لسان العرب، ج2، الدار المصرية، القاهرة، د ت، ص193.

2 محمد بن سحنون، آداب المعلمين، تح محمود عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية النشر التوزيع ، الجزائر،1981،ص87.

3 ابن الشماع، المصدر السابق، ص56 .

4 أبو عبد الله محمد بن عثمان السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح محمد الشاذلي النيفر،ج3، دار الغرب الإسلامي، 1994، ص95 .

كما نجد بعض العلماء ممن ساهموا في إنشاء الكتاتيب، فهذا الشيخ الفقيه العالم أبو إسحاق بن عبد الرفيع(639-733هـ/1244-1332م) الذي اشتغل بالتدريس والقضاء والإفتاء في العهد الحفصي[1].

وله عدة مؤلفات منها، في الرد على ابن حزم في اعتراضه على الإمام مالك، كما أنشأ مكتبا لتعليم الولدان بجانب دار أعدها لدفنه قرب جامع القصر[2].

كانت الكتاتيب تزين بإشعال الشموع ، وتقام فيها الأناشيد الدينية بمناسبة المولد النبوي، وكان يشرف على هذه المراكز التعليمة في تونس الحفصية معلمون عرفوا بسعة علمهم وتنوعه، فقد كان أبو عبد الله محمد بن سعد بن برّال الأنصاري في القراءات من أشهر مؤدبي تونس، وكان معلمو الكتاتيب يتلقون أجرا مقابل ما يبذلون من مجهودات لتعليم الصبيان، ويبدو أن تناول المعلمين في المغرب أجرًا مقابل مزاولتهم التعليم القرآني أمرا لا نقاش فيه بالنسبة إليهم، لاعتمادهم على إجازة الإمام مالك[3]، فلقب المؤدب لم يقتصر دائما على من يؤدب أولاد السلاطين والأمراء والأسر الغنية، وإن غلب على هؤلاء هذا اللقب، بل نجد من تأدب وليس من طبقة السلاطين والأغنياء، ومن أشهر مؤدبي الصبيان في الدولة الحفصية أبي العباس بن عروس، الولي الصالح صاحب الطريقة الشاذلية ت(868هـ/1463م)، المعروف بأبي الصرائر، ويرجع نسبه إلى قبيلة هوارة الليبية، ومارس الوظيفة نفسها والد عبد الرحمان ابن خلدون[4]، ولاشك أن مهمة تأديب أولاد السلاطين، كان يحظى فيها المؤدب بمكانة اجتماعية عالية، وحياة رغدة ملؤها الغنى والرخاء، فهي وظيفة تدر على صاحبها ربحا سهلا، إضافة إلى المكافآت والهدايا التي كان ينالها، وجرى العرف بالقرى المغربية أن يرسل الأب مع ولده هدية لمعلمه عند إتمامه حفظ القرآن وفي مناسبات الأعياد الدينية الأخرى[5].

1 المرجع نفسه، ص50.

2 محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، سنة 1982، ص ص 322-324

3 لخضر عبدلي، رسالة دكتوراه، الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، جامعة تلمسان، سنة 2006، ص103 .

4 المقري، نفح الطيب ، تعليق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، ج8، ط1، دار الكتاب العلمية، لبنان 1995، ص307.

5 البرزلي، جامع مسائل الأحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 2004، ص10.

إن التعليم كان منتشرا في الكتاتيب، وكان لها دورُ كبير في انتشار العلوم في المجتمع الحفصي، كما أدت دورها في التربية والتعليم، وكانت بمثابة المدارس الابتدائية اليوم، وهي القاعدة الثانية بعد المنزل ينطلق منهما الصبي في عالم العلم ويهيئانه للانتقال إلى مرحلة أخرى من التعليم، ألا وهي المرحلة العليا الأكثر شمولية واتساعا، إلى مؤسسات أخرى من بينها المساجد لإتمام الدراسة في شتى العلوم الأخرى[1].

2- المساجد:

تعتبر المساجد من أهم مراكز العلم في بلاد المغرب الإسلامي، بدأ تشييدها منذ ظهور الإسلام بقصد عبادة الله، لقد أدت دورا كبيرا في شتى المجالات، وكانت وما تزال الركيزة الأولى للتعليم وأهم المنافذ الثقافية والعلمية، يجتمع فيها الناس للذكر وتلاوة القرآن الكريم وتدارس قضايا المسلمين، وتعتبر المساجد من مؤسسات التربية الإسلامية المهمة، فلم يقتصر دورها على العبادة فقط، بل كانت مكانا للتعليم والتَّربية ومدرسة للعلم والأدب، يتم فيه غرس القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة[2].

لقد اختلفت المساجد بين صغيرة وأخرى كبيرة، فالمساجد الصغيرة غير تابعة للسلطة في معظم الأحيان بل يشرف على إدارتها أهالي الأحياء، ومن بين هذه المساجد التي زخرت بها الدولة الحفصية مسجد السبائي بالقيروان ومسجد الزلاج، ومسجد الجبل الأحمر بتونس،[3] أما المساجد الكبرى الجامعة، فقد عرفت بدورها تطورا بعد سقوط الدولة الموحدية وكانت تقوم ببنائها الدولة وتتولى الإشراف والإنفاق عليها وتعيين الائمة، ويقوم بأمرها السلطان أو من يفوضه، ومن أشهر المساجد الجامعة الكبرى في العصر الحفصي بعد مسجد القيروان جامع الزيتونة الذي بني سنة (79هـ/698م) وكان يسمى أحيانا الجامع الأعظم وقد امتاز بعناية أولي الأمر بشأن الإمامة والخطبة، ولا يدرس فيه إلا الصالحون والراسخون في العلم من العلماء[4].

1 كمال أبو مصطفى ، جوانب من حضارة المغرب الاسلامي، من نوازل الونشريسي، شباب الجامعة، الإسكندرية، د ط ، ص115 .

2 فؤاد نجوى، مساجد القيروان، ط1، مطبعة دار عكرمة، تونس، 2000، ص219 .

3 الونشريسي، مصدر سابق، ج9، ص27.

4 محمد لعزيزي بن عاشور، جامع الزيتونة المعلم و رجاله، دار سراس للنشر، تونس،1991، ص51.

وقد تخرجت منه كوكبة من أشهر العلماء في مختلف العلوم منهم الكيميائي الشهير أحمد النفاشي الحفصي ت (660هـ/1261م) الذي تولى القضاء بقفصة في عهد أبي زكريا وله عدة رحلات لمصر والشام والعراق و إيران، وعبد الرحمن بن خلدون وهناك غيرهم كثيرًا ممن برزوا في هذا المجال، فجامع الزيتونة لقي اهتماما خاصًا وحظي بامتيازات لم يحظ بها غيره من المساجد، فقد سهر عليه السلاطين الحفصيون بالترميم والتحسين والتوسيع والتزويد بشتى الوسائل التي مكنته من الإشعاع العلمي والثقافي[1].

وكان يمتاز عن بقية المساجد بعدد كبير من العاملين به ،إضافة إلى ذلك اهتم الحفصيون بإصلاحه وإضافة أجزاء إليه ولم ينصب اهتمام السلطنة الحفصية بالجامع الأعظم فقط، واتخاذه مركزا وحيدا للإشعاع الديني والثقافي وإنما سعت إلى إنشاء وتأسيس مساجد أخرى مماثلة لجامع الزيتونة، حيث أقبلت على تجديد الجوامع القديمة وترميمها وإصلاحها حفاظا على قيمتها الفنية والتاريخية، لقد قام أبو زكريا يحي ببناء جامع القصبة بتونس(629هـ/1231م)[2] وبنى له صومعة غريبة الصنع على حد قول الزركشي، و يقول عنها ابن أبي دينار "...ولها شكل عجيب..."[3] ومن بين المساجد الأخرى التي أقامتها الدولة الحفصية مسجد التوفيق المعروف بجامع الهواء(650هـ/1252م)، ويرجع محمد بن الخوجة سبب هذه التسمية إلى حسن مناخه وارتفاع موقعه، وهو من تأسيس المستنصر بالله بأمر من أمه عطف، وقد رتب فيه دروسا في مختلف العلوم، التي خصص لها عددا من العلماء من أمثال محمد الزندوي ت(874هـ/1469م) المفسر والفقيه، الذي تولى القضاء بقسنطينة والفتوى والخطابة بجامع التوفيق، والتدريس بالمدرسة الشماعية، وله عدة مؤلفات منها تفسير القرآن[4].

1 محمد لعزيزي بن عاشور، مرجع سابق، ص51.

2 انظر الملحق رقم1، محمد لعروسي المطوي مرجع سابق، ص127، وعبد لعزيز دولاتي، مرجع سابق، ص24.

3 إبن أبي دينار، مصدر سابق ،ص134.

4 محمد العروسي المطوي، مرجع سابق ،ص176.

وكذلك مسجد باب البحر (681هـ/1284م) غلب عليه هذا الاسم لموقعه على مقربة من مياه البحيرة المتصلة بالبحر، وأسسه أحمد بن مرزوق بن أبي عمارة المسيلي ت(683هـ/1284م) ولد بالمسيلة ونشأ ببجاية إمتهن الخياطة، رحل إلى أطراف طرابلس، وادّعى أنه الفضل بن الواثق بن المستنصر الحفصي فبويع على خلافة طرابلس ثم القيروان وتونس[1]، وأسس المسجد مكان فندق كانت تباع به الخمر وترتكب فيه المعاصي، وكان إنشاؤه في عهد السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا[2]، فالمساجد لم يقتصر بناؤها على الملوك فقط، بل شارك في تأسيسها العلماء وذوي الإحسان احتسابا لوجه الله، فأبو محمد المغربي من علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني ومن الأولياء الصالحين الذين استوطنوا مدينة تونس، قام بإنشاء جامع باب الجزيرة، الذي يعود تاريخ تشييده الى القرن (7هـ/13م)[3]، بالإضافة إلى جامع الولي سيدي يحي السليماني، المعروف بجامع البرج الذي يقع بحي باب العسل بتونس أقيمت فيه الخطبة بأمر من الأمير عمر بن أبي بكر سنة (747هـ/1346م)[4]، ومن الإصلاحات والتوسعات التي عرفتها المساجد في الدولة الحفصية، جامع ابن خيرون بالقيروان الذي ينسب بناؤه إلى الفقيه محمد بن خيرون المعافري الأندلسي سنة (225هـ/866م)، ويتميز بواجهته ذات الثلاثة أبواب، رمم في العهد الحفصي سنة(844هـ/1440م) كان تحفة فنية رائعة بزخارفه وأبوابه الثلاثة[5]، أما مساجد قسنطينة منها الجامع الكبير الذي يعود بناؤه الى يحي بن العزيز الحمادي (515-547هـ/1121-1152م) آخر حكام الدولة الحمادية سنة (530هـ/1136م) ثم رمم في العهد الحفصي على يد السلطان أبي زكريا بن إسحاق سنة (816هـ/1413م) ومازال قائما إلى يومنا هذا ويعد من أجمل وأكبر مساجد بلاد المغرب الإسلامي[6].

1 عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط1، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت لبنان، 1980، ص242.

2 أحمد الطويلي، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ،ص29.

3 محمد بن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ط2، تح حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1985، ص ص127-130.

4 أحمد الطويلي، المرجع نفسه، ص 09.

5 عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة، تاريخ ومعالم وحضارة، دار الهدى ، عين مليلة ، 2007، ص190.

6 مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ، ط1،ج3، وزارة الثقافة ، الجزائر،2007، ص92.

كما ساهمت مدينة بجاية الناصرية في تطور الحركة التعليمية بمساجدها الجامعة، ويذكر حسن الوزان أنّ بها "جوامع كافية ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم، بالإضافة إلى زوايا المتصوفة"[1]، ونشير إلى أهم المساجد الجامع الأعظم الذي شيد في القرن(5هـ/11م) في عهد المنصور بن الناصر الحمادي (481-498هـ/1088-1104م) وقد احتل مكانة كبيرة في المغرب الإسلامي، فالمساجد التي زخرت بها الدولة الحفصية كانت شاهدة على التطور الفكري والازدهار العمراني الذي عرفته الدولة الحفصية[2].

3- الزوايا:

وهي مؤسسة يعتكف فيها الإنسان ، ويختلي فيها لأداء العبادات، التي تطهره من المعاصي . عرفت الزوايا كمؤسسة دينية و تعليمية ازدهارا شبيها بازدهار المدارس في الدولة الحفصية، وتعتبر من أهم المؤسسات التعليمية التي ساهمت في نشر التعليم في المجتمع الحفصي[3].

ظهرت الزوايا في بلاد المغرب الإسلامي في القرن(6هـ/12م)، وكانت تسمى آنذاك بدار الكرامة ومع مرور الوقت عرف المصطلح تغييرا تدريجيا حتى عرفت بالزوايا، و بحلول القرن 9هـ أصبحت كل زاوية تعني طريقة صوفية معينة، ومع مرور السنوات حلت الزوايا تدريجيا محل الرباط، وأصبحت تؤدي دوره[4]. ومعنى الزاوية الإنزواء والانعزال والخلوة، وهي تنشأ من طرف رجال الطرق الصوفية من أموالهم الخاصة، ويشرف على خدمتها طاقم إداري متمرس متكون ومتكامل، وأصناف متعددة من الخدم كل صنف منهم مختص في وظيفة محددة، يتلقون أجورهم من الأوقاف والأحباس التابعة للزاوية[5].

1 حسن الوزان، وصف إفريقيا،ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت،1983، ص50.

2 ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح النيفر التركي، الدار التونسية لنشر، 1968، ص176 .

3 محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، ص27.

4 المهدي بوعبدلي، الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، مجلة الأصالة العدد 13 ،الجزائر،1973 ،ص26.

5 ابن المرابط، نور الأرماش في مناقب القشاش، تح لطفي عيسى،ط1،المكتبة العتيقة،تونس،1988،ص19.

حيث يسهرون على خدمة الطلبة الداخليين وإيواء عابري السبيل وإطعام المسافرين، وكانت الزوايا مرحلة وسطى بين الكتاتيب التي هي بمثابة المدرسة الابتدائية، والمدارس التي هي معاهد عليا أو بمثابة الجامعة في وقتنا الحاضر[1]، وأصبحت الزوايا في العهد الحفصي من المؤسسات التعليمية الدينية التي تدرس فيها مختلف العلوم، ولقد ساهم الحكام الحفصيين في بناء الزوايا وإغداق الأموال عليها والعناية برجالها، ولذلك انتشرت في مختلف نواحي الدولة الحفصية[2].

إن السلطان أبا فارس عبد العزيز(796-837هـ/1394-1433م) كان مناصرا للزوايا ومهتما بشيوخها، حيث قام ببناء زاوية خارج باب البحر، وكانت من قبل فندقا تباع فيه الخمور وبنى زاوية بخارج باب سعدون بحومة باردو وجعلها نزلا للمسافرين[3]، كما أن السلطان أبا عمرو عثمان أولى اهتمامه ببناء زاوية عين الزميت التي تقع قرب كاف غراب بين باجة وتونس وحبس عليها أوقافا كثيرة جارية لاستدامتها وأقام بها دروسا العلم وجعل بها جامعا للصلاة[4].

كما أنشأ أبو عبد الله محمد ابن السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي الزاوية التي بسيجوم نسبة إلى حسين بن عطية بن إبراهيم بن عبد الله السيجومي ت(798هـ/1395م)[5]،وقد اشتهرت الزوايا باتجاهاتها الصوفية وتأييد الحكام لذلك الاتجاه، فهي مراكز علم وإقامة على نمط المدارس الداخلية، تخضع لنظام يلزم الطلبة والمريدين التحلي بالانضباط والطاعة، والتقييد بالنظام الداخلي للزاوية فيما يخص الدراسة والإقامة[6].

1 عثمان الكعاك، المرجع السابق،ص52.

2 حسين خوجة، المرجع السابق،ص50 .

3 الزركشي، مصدر سابق ، ص116.

4 محمد السراج، المصدر السابق ، ج2،ص188.

5 ابن أبي دينار، المؤنس، المصدر السابق، ص146.

6 زينب نسيب، العلوم والمعارف بالمغرب الأوسط ما بين القرنين(7-9هـ/13-15م)، رسالة دكتوراه ، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص155.

انتشر ببجاية الحفصية أيضا عدد من الزوايا، وساهمت بقسط كبير في نشر التعليم، وتعد زاوية الشيخ يحي العيدلي (ت881هـ/1476م) الذي تلقي تعليمه في مدينة بجاية وتخرج على يد علمائها الأجلاء، خلال القرن التاسع الهجري منحت له إجازة علمية سمحت له بمباشرة التعليم بآيت عيدلي بتمقرة قرب بجاية وتعد من أشهر الزوايا بالمنطقة ويقدر بعض المؤرخين أن تأسيسها يعود إلى أوائل القرن(9هـ/15م) على يد الشيخ يحي العيدلي[1]، وزاوية الشيخ حساين بسيدي عيش ببجاية تأسست في أواخر القرن(8هـ/14م) أي حوالي(770هـ/1368م) وزاوية الشيخ السعيد أحسين بصدوق، التي تأسست على حسب المصادر في القرن(9هـ/15م) ومازالت تمارس نشاطها للتعليم إلى الوقت الحاضر وقد اهتمت هذه الزاوية بتدريس مختلف العلوم الدينية وتدريس الفقه المالكي[2]، وزاوية الشيخ أحمد بن إدريس البجائي ت (760هـ/1359م) فقيه وصوفي، تقع بقرية أيلولة ببجاية تأسست في (720هـ/1320م) اشتهرت بنشرها للتعليم ومناهج التصوف[3]، كما شهدت مدينة قسنطينة هي الأخرى تشييد العديد من الزوايا التي انتشرت في مناطق متفرقة إلا أن المعلومات عنها شحيحة ونذكر منها الزاوية الملارية التي أسسها الشيخ أبو يعقوب بن عمران البويوسفي ت(630-717هـ/1233-1317م) كانت مركزا علميا حيث ساهمت في نشر العلم والمعرفة[4].

وتصنف الزوايا إلى صنفين زاويا لمبيت وإيواء المسافرين الذين يباغتهم الليل، والمنقطعين للعلم وعابري السبيل[5]، والزوايا الحاوية لأضرحة أحد الأولياء يقصدها الناس للزيارة والتبرك[6].

1 محمد نسيب، مرجع سابق، ص 200.

2 المرجع نفسه، ص219 .

3 المهدي البوعبدلي، تراجم بعض مشاهير علماء زواوة الصغرى والكبرى، مجلة الأصالة العدد 14-15، الجزائر، 1973، ص271.

4 عبيد بوداود، المرجع السابق، ص99.

5 يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19و20 م، مجلة الثقافة، العدد 63، الجزائر، 1983، ص19 .

6 الرصاع، فهرست، تحقيق محمد العنابي، دار الكتب الوطنية المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص197.

وهكذا استطاعت الزوايا أن تكسب طلبة العلم و العلماء، بفضل التعليم المجاني الذي توفره وهو في متناول الجميع، بالإضافة إلى الإقامة والإطعام، حيث صارت الزوايا بديلا إلى حد كبير عن علماء العلوم الدينية في المساجد والمدارس، وتعتبر الزاوية من المؤسسات الروحية التي واكبت ظهور الحركة الصوفية، وتشير بعض المصادر كما يرجح بعض المؤرخين أن إفريقيا قبل العهد الحفصي لم تعرف تأسيس الزوايا[1].

4- الرباط:

جمعه رابطات وهي أماكن للعبادة، والمرابطة، وهي المداومة على هذه الأماكن والثبات فيها، ويتولون فيها جهاد النفس وترويضها مطبقين بذلك قول الله سبحانه وتعالى " يا أيّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا وأّتقو الله لعلكم تفلحون"[2]، كما يطلق على الأمكنة التي تنشأ في المواقع الحربية المتقدمة، لحماية حدود الدولة من الأعداء وحراستها من الهجمات العسكرية الخارجية المحتملة، وهو عبارة عن مبنى حصين محاذي لحدود العدو، فكان الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت[3].

تعد الرِباطات مراكز علمية لتعليم المرابطين تعاليم الإسلام، ومثال ذلك إقامة الشيخ عبد الله بن ياسين ت (451هـ/1059)[4] حيث أنشأ رباطا على مصب نهر السينغال، حيث انزوى فيه واعتكف على العبادة والمناجاة وتعليم أتباعه تعاليم الإسلام الصحيحة، وأكثر الأماكن ربطا في القارة مناطق الشمال الإفريقي، لحساسية موقعها وكثرة تعرضها للعدوان من قبل الغزاة وغارات الأعداء، لقد ظهرت سلسلة من الرِباطات منذ القرن(3هـ/9م) على سواحل البحر لصد الهجومات المسيحية كرباط المنستير ورباط سوسة، إضافة إلى رِباطات أخرى كرباط قصر البحر بقابس، ورباط تازا، ورباط ابن يبكي ببجاية[5].

1 ظريف محمد، مؤسسة الزوايا بالمغرب، المجلة العربية لعلم الاجتماع السياسي، د ب،1992، ص21 .

2 سورة الاعراف الآية 200ص76.

3 المهدي بوعبدلي، الرباط والفداء في وهران، مجلة الأصالة، العدد 13، الجزائر، 1973، ص20-25.

4 من أهل الدين والصلاح والتقوى حفظ أهل صنهاجة القرآن وفقههم في علوم الدين، كثر أتباعه من زعماء صنهاجة حيث بلغ عددهم حوالي ألف رجل سماهم المرابطين نسبة الى الرباط ، ينظر ابن عذارى، البيان المغرب، تح إحسان عباس،ط2،ج4، بيروت،1983، ص129.

5الغبريني، عنوان الدراية، ط2، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص188 .

كانت الربط تسمى بالقصور، حيث جمعت الرباط بين الوظيفة التعليمية والجهادية، كما كانت مصنعا للحبر والورق الذي كان يوزع مجانا على طلبة العلم من أجل تحفيزهم على استنساخ المصاحف ومجامع الحديث وكتب الفقه، إذ حبس الخطاطون تصانيفهم ومخطوطاتهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأصلية التي يرجع إلى نصها عند الضرورة، وكان لكل رباط مكتبة بها النسخ الأصلية والفرعية للمؤلفات والتصانيف[1].

إن الكتاتيب والمساجد إلى جانب الزوايا والربط، بالإضافة إلى المدارس في الدولة الحفصية قد أصبح لها نفوذ سياسي مواز لدورها في المجال التربوي والتعليمي والديني، إضافة إلى دورها الاجتماعي والجهادي[2].

المبحث الثاني: طرق ومناهج التدريس

لقد كانت المناهج التعلمية التي تدرس في العهد الحفصي، متطورة عن نظيرتها في المغرب الأقصى، وكان لها السبق، حيث كانت طريقة التعليم المستقاة من الطرق التي كانت متبعة في القيروان والمشرق، والأندلس، وأضيفت لها طريقة النقل الشفوي لنصوص، عن طريق السرد أو الإلقاء من طرف الشيخ، بطرح أسئلة ومواضيع تناقش مع الطلبة وشيوخهم، مما يضفي الحيوية والنشاط[3].

1- مراحل التدريس:

يتعلم التلميذ الكتابة وقراءة القرآن والأحكام بالكتاتيب، ثم يلتحق بأماكن أخرى يواصل فيها دراسته، وعند ارتياده للمسجد، ينظّم الدّارس وله من العمر ما يسمح له بالالتحاق بحلقات التدريس، وهي ما نعبر عنها بمرحلة التعليم الثانوي في أيامنا، ويمكن اعتبارها مرحلة انتقالية بين الكتّاب وبين الانتساب إلى حلقات مشاهير الشيوخ[4].

1 ابن الشماع، مصدر سابق، ص 56.

2 حسن إبراهيم حسن، مرجع سابق، ،ص 438.

3 أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، تح عبد المجيد الهرامة ،ج1، ط1، طلبة الدعوة الاسلامية ، طرابلس ، ص 136.

4 الرصاع، المصدر السابق، ص 182

ويمدنا ابو عبد الله الرصاع في كتابه " الفهرست "بمثال يشير فيه إلى المستويات المتفاوتة التي كانت عليها الحلقات[1]، كما كتب ابن خلدون في قوله " ... إنما يكون تلقين العلوم مفيداً إذا كان على التدريج شيئاً فشيئاً وقليلاً قليلاً... وهو يحصل في ثلاث تكرارات، وقد يحصل للبعض في أقلّ من ذلك "[2].

حيث أن التعليم في الفترة الحفصية، في المساجد كان يمتاز بحرية شبه مطلقة، فيستطيع الطالب القدوم في أي وقت، ولا يجبر على الانتساب إلى حلقة دون أخرى، وهو ليس مجبراً على التقيّد بأحد الشيوخ، لذلك يستطيع أن ينتقل من حلقة إلى أخرى، أو كذلك يمكن له أن يلازم شيخاً واحداً وهذا مخالف تماماً لما يقع في المدرسة، فالطالب الساكن بها مجبر على الحضور في وقت معين ولا يغادر الدرس إلا عند انتهاء الشيخ من إلقائه، وليس له أن يختار شيخه، مثل الدارس في المسجد[3].

وكان يحرص كل طالب على أن يجلس على مقربة من الشيخ سواء كان ذلك في المسجد أو بالمدارس، لكن لا يتم جلوسهم في الحلقة دون ترتيب، بل كان لكل منهم مكان يجلس فيه، ولا يتعدى المكان الذي هو أهل له، فسنّ الطالب وأقدميته في الجلوس للشيخ، ومستواه العلمي عناصر أساسية في تعيين مكان جلوسه، أما الطلبة المبتدئون، فيكون جلوسهم في آخر الصفوف احترامًا للطلبة المتقدّمين في السن وعندما يبرز أحدهم، يقربه الأستاذ ويجلسه بجانبه، وكانت المدارس نظامية، لكل منها ناظر أو شيخ يراقب كل ما يحصل فيها، كما يشترط صاحب المدرسة او مؤسسها الحضور الإلزامي للطالب، فالجلوس إذن أصبح حسب الونشريسي انطلاقًا من القرن(11هـ /15م)، يقعد على الكراسي، غير أننا لا نستطيع أن نجزم بانتشار هذه الكراسي، وهل كانت مستعملة بالمدارس أو بالمساجد، ونحن نرجّح أن جلوس الشيخ في مسجد المدرسة يحصل غالباً في المحراب خلال العهد الحفصي، نتيجة لأن العديد من المساجد بمدارس تونس لا تحتوي على أعمدة، مثل المدرسة الشمّاعية والمدرسة العنقية وغيرها[4].

1 الرصاع، مصدر سابق، ص182.

2 ابن خلدون، المقدمة، تحقيق شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان،2005، ص ص 1002-1003.

3 الرصاع، المصدر السابق، ص 188.

4 ابن رشيد، الرحلة، ج1، ط1، تح أحمد حداد، منشورات الأوقاف وزارة الشؤون الدينية المغربية، المغرب 2003، ص ص 49- 50.

وقد زودتنا بعض المصادر بمعلومات حول جلوس الشيخ بالجامع الأعظم واستنادْ كل واحد منهم إلى أحد الأعمدة، وما زال البعض يشير إلى العمود الذي كان يستند إليه الشيخ ابن عرفة ت(803هـ/1401م) الفقيه والمفتي والمقرئ والنحوي، المعروف بمؤلفاته تساعيات في الحديث، والمبسوط في الفقه وغيرها من المؤلفات[1].

2- **كيفية التدريس:**

أما عن كيفية إلقاء الدرس، فتختلف طرق التدريس باختلاف الفترات، فإذا كانت الفترة فترة ازدهار وانتعاش علمي، نجد بها شيوخاً أجلاء لهم مستوى علمي رفيع، عند ذلك يستطيع الأستاذ أن يلقي درساً يشتمل على شرح وتوضيح وتفسير الفقرات التي غمضت من المصنف الذي هو بصدد قراءته، أما في فترت الاضطرابات والانحطاط الثقافي، فكان المدرس يكتفي بقراءة الكتاب، وبتقديم بعض الشروح، وهي طريقة النقل، ومن بين طرق التعليم التي عرفت في كامل أرجاء العالم الإسلامي: الإملاء، ويكون الإملاء بطيئاً حتى يتمكن الطالب من كتابة كل ما يمليه الشيخ[2]، وإذا كان المستوى العلمي للشيخ محترماً، كان بإمكانه عند الانتهاء، من إملاء كل فقرة أن يشرحها، ويدون الطالب كذلك هذه الشروح على هامش الأوراق التي كتبت عليها الأصول، وإذا ما انتهى الشيخ من إملاء الموضوع الذي هو بصدد درسه، فإنه يعيد قراءته له، أو يكلف أحد الطلبة بإعادة القراءة حتى يصحّح الأخطاء، ويقع بعد ذلك نقاش في الموضوع، وهذه الطريقة هي المعروفة بالإلقاء، و لكن كانت هناك طريقة أخرى للتعليم، كانت منتشرة في العهد الحفصي تتمثل في أن يكلّف الشيخ طالباً بالقراءة ويقوم هو بالشرح[3].

1 ابن رشيد، المرجع السابق ، ج1، ص ص 49- 50.

2 العبدري، الرحلة المغربية، منشورات بونة للبحوث والمنشورات، ط1، الجزائر،2007، ص ص 139-142.

3 ابن ناجي، معالم الايمان،ج3، ص79.

وإذ توفرت الإمكانيات المادية لطالب ما، فإنه يشتري نسخة من الكتاب الذي يدرّسه آنذاك، فيقرأه قبل أن يلقيه المدرس، ثم يقرأ الكتاب في حضرة الشيخ، ويمكن أن يتناوب القراءة مع الشيخ أو طالب آخر، حيث أصبح التعليم مبنيًا على ما يحفظه الطالب أو يسجله، من شرح أساتذته أو شيوخه، وما أملي عليه، أو ورد في متون الكتب التي استطاع أن يحصل عليها، كان يتولى في بعض الأحيان، الطلبة في إعانة الشيخ ويلقب بالمعيد وهو من يعيد على الطلبة، ما ألقاه المدرس عليهم ليحسنوا فهمه، فهو بذلك دون الشيخ مرتبة وأعظم درجة من الطلبة[1].

2- الإجازة:

ولمنح الطالب شهادة يتخرج بها فالطريقة كانت أبسط بكثير من طرق عصرنا هذا المعتمدة على الامتحانات لمنح الشهادة، أما في العهد الحفصي بعد أن يدرس الطالب على شيخه كتاباً أو عدّة كتب يمنحه إجازة، وهي الطريقة التي كانت متّبعة في كل الحالات، وقد تهافت الطلبة على استجازة العلماء المشاهير والشيوخ الكبار، إذ كان الجميع يعتبرون دراسة الطالب للكتاب بنفسه من غير سماع على شيخ خطأ كبيرا، وتكون الإجازة في أكثر الأحيان خطية، يذكر فيها اسم الطالب الملتمس للإجازة، واسم المدرس الذي منحه إياها، ويذكر المجيز أيضاً المصنفات التي أخذها الطالب عنه، والتي يسمح له بتدريسها، كما تكون في بعض الأحيان مشافهة وإذناً باللفظ[2]، ويذكر في أغلب الأحيان كل طالب أنه أخذ عن شيخه كثيراً من المؤلفات ويكتبها مفصلة، أو يذكر أنه تحصّل على إجازة عامة، تشتمل على جميع الكتب التي أخذها عن المدرس، دون ذكرها تفصيلاً، ونتيجة لتهافت الطلبة على الإجازات من الشيوخ البارزين، وأصبح هؤلاء يجيزون قبل وفاتهم علماء عصرهم، وتمنح الإجازة شعراً أو نثراً، مثل القصيدة التي أجاز بها الرصاع أحد طلبته بالمدرسة الشمّاعية[3].

1 العبدري، المصدر السابق، ص 240.

2 القلصادي، رحلته، ص 118.

3 الرصاع، المصدر السابق، ص 218.

وكان الطلبة يرتحلون إلى مدارس الحواضر العلمية الأخرى، مثل تلمسان وفاس، ببلاد المغرب لأخذ العلم والإجازات من كبار علمائها وفقهائها، وكذلك إلى بلاد المشرق الإسلامي وحواضره العلمية، وخاصة الرحلات العلمية، ورحلات الحج والعمرة، وطلب العلم، وأخذ الإجازات من علماء المشرق[1].

المبحث الثالث: أهم العلوم التي كانت تدرس في العهد الحفصي

تنوعت العلوم في العصر الحفصي فأصبحت الدولة الحفصية، يتوافد عليها العلماء من كل مكان ينهلون من علومها، ويستفيدون من معارفها، وما من فن من فنون العلم إلاّ وجدته بها قائما، لقد شهدت انتشارا لكثير من العلوم التي كان يتم تدريسها في مختلف أنحاء بلاد المغرب الإسلامي، وقد صنف ابن خلدون تلك العلوم المتدارسة إلى صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره كالفلسفة والرياضيات و الكيمياء، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه كالتفسير والحديث والفقه والأدب والتاريخ، لكن العهد الحفصي ميزه تأثير العلوم النقلية التي طغت على الحياة الفكرية، حيث عرفت رواجا واهتماما كبيرا من طرف العلماء الحفصين[2]، ولقد اعتمدنا تصنيف ابن خلدون في تقسيم العلوم إلى علوم نقلية أو دينية أو شرعية وأصل هذه العلوم كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة، والصنف الثاني العلوم العقلية التي يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها و وجوه تعليمها حتى يقف نظره وبحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر، وهذا حسب ما ورد في مقدمته[3].

1 العبدري، المصدر السابق، ص 52.

2 نفسه، ص142.

3 ابن خلدون، مقدمة بن خلدون، ط1، دار بن الهيثم، القاهرة، 2005، ص354.

أولا: العلوم النقلية

1- علم التفسير:

هو من ضمن العلوم الدينية التي لقيت اهتماما كبيرا من علماء تونس الحفصية، فهو علم يشتمل على معرفة وفهم القرآن الكريم وتبيان معانيه وأحكامه وتفسير آياته تفسيرا صحيحا لاستنباط إحكامه الشرعية، فعلم التفسير هو الكشف والإظهار والبيان[1]، ولقد عرفت بلاد المغرب طريقتين لتفسير القرآن الكريم، حيث تحدث ابن خلدون عن التفسير المأثور الذي يستند إلى الآثار المنقولة عن الرسول (ص) والسلف وعن الصحابة والتابعين، وهنالك من المفسرين من يرتكز على الرأي والاجتهاد[2].

من أبرز العلماء في هذا العلم نذكر أبو فارس عبد العزيز القرشي الشهير بإبن بزيزة (616-662هـ/1229-1263م)، من الفقهاء وعلماء التفسير ورواة الحديث من أئمة المالكية الإفريقية، من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم ومنهاج المعارف إلى روح العوارف بالإضافة إلى عدة كتب اخرى[3].

2- علم الحديث:

والمقصود به حفظ ما جاء عن الرسول (ص) من قول أو فعل، وله أهمية كبيرة لفهم السنة النبوية وظهر عندما احتاج المسلمون إلى تفسير آيات القرآن الكريم محل الخلاف، وفي هذا الصدد عكف العلماء على جمع الأحاديث النبوية المتفرقة بين الصحابة.[4]

ويعتبر علم الحديث المصدر الثاني في التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، ولذلك اعتنى به العلماء الحفصيون وأولوه أهمية كبيرة، ومن أشهر العلماء الذين برزوا في هذا العلم نذكر أبو زكريا يحي بن أبي علي الزواوي فقيه ومحدث توفي سنة (611هـ/1215م)[5].

1عيسى بن الذيب، المرجع السابق، ص 129 .

2 ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص554 ـ 555.

3 شوقي الضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ب ط ،ج9 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1996،ص191.

4 قاسم بختاوي، التعليم في المغرب بين القرنين 4و7هـ/10و13م، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس،2016، ص29 .

5 مختار حساني، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية(مدن الشرق)، ج3، ط1، دار الحكمة، الجزائر،1980، ص267 .

3- علم الفقه:

ويعرف منه كيفية استنباط الأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، ويدرس جميع المسائل التي تواجه الإنسان في حياته، فيبحث في الفرائض الدينية والأحوال الشخصية والمعاملات الاجتماعية والاقتصادية[1].

أما أهم أصوله هي القرآن الكريم والسنة النبوية إضافة إلى الإجماع والقياس، وقد اشتهرت عدة مذاهب في الفقه منها مذهب الإمام مالك وهو المعتمد والمشهور الذي ساد بلاد المغرب الإسلامي، والفضل في انتشاره يعود إلى العلماء الذين ارتحلوا إلى الحجاز وتتلمذوا على يد الإمام مالك[2]،ونذكر منهم أسد بن فرات ت (213هـ/828م)، مؤلف الأسدية في فقه المالكية[3].

ولقد شهدت الدولة الحفصية نهضة علمية كبيرة منذ القرن(7هـ/13م) في العلوم الدينية وبالخصوص في علم الفقه، كما أن العلماء الحفصين كان لهم دور كبير في توجيه الطالب لدراسته والاهتمام به، كما حفلت مؤسساتهم بالمناظرات والحلقات العلمية[4]، وشجعت الدولة العلماء على الاهتمام بالفقه وفروعه، ومن أشهر الفقهاء الحفصيين: نذكر ابن راشد القفصي ت(736هـ/1336م) وأبو القاسم ابن زيتون ت (690هـ/1291م) وغيرهم[5].

1عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج2، ص455 .

2 عبد الرحمن ابن خلدون ،المقدمة، ص ص571 ـ573

3 محمد محفوظ، مرجع سابق، ج4، ص17

4 عيسى بن الذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007، ص126.

5 محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص ص 329-432

4- علم التصوّف:

يعرفه ابن خلدون على أنه من العلوم الشرعية الحديثة في الملة الإسلامية، ويقول في مقدمته "الأصل في التصوف هو العكوف على العبادة والزهد والبعد عن الدنيا وملذاتها، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها"[1]، وشهد العصر الحفصي شيوع ظاهرة التصوف، الذي يعود انتشاره في إفريقية إلى أبي مدين شعيب بن الحسن الاندلسي ت (594هـ/1198م)، وهو فقيه ومتصوف ومؤسس مدرسة التصوف بإفريقية والأندلس وله عدة مؤلفات منها أنس الوحيد، وتحفة الأريب، وفي طريقه إلى مراكش توفي ودفن في تلمسان[2].

وكذالك أبي القاسم بن حسن الربعي التونسي علّامة وفقيه وصوفي ت (733هـ/1334م)، والتصوف لم يكن مقتصرا على الرجال فقط بل كانت هناك نساء اشتهرن به منهن عائشة المنوبية بنت عمران بن الحاج سليمان، ولدت سنة (589هـ/1204م) بقرية منوبة وحفظت القرآن الكريم، تأثرت بالشيخ أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية ، توفيت سنة (665هـ/1266م)[3].

5- العلوم اللسانية

عرفت كل الدراسات اللغوية من اللغة العربية اهتمامًا كبيرًا من طرف علماء بني حفص، وشهدت إقبالا كبيرا من طرف طلبة العلم لارتباطها الوثيق بالعلوم الأخرى، حيث لا يمكن الخوض فيها إلا إذا نبغ الطالب في اللسان العربي من لغة وبلاغة ونحو وغيرهم[4]، ومن العلماء الذين برزوا في هذا المجال نذكر أبا الحجاج بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي من أعلام الأندلس وأدباءها المشهورين، أقام في تونس ودرس فيها فنون الأدب من مؤلفاته كتاب الحماسة، وتذكير العاقل وتنبه الغافل ت(653هـ/1255م)[5].

1 ابن خلدون، المصدر السابق ،ج1، ص500 .

2 عبد الوهاب حسن حسني، شهيرات تونسيات من الفتح الإسلامي الى 1934، ط1، المطبعة التونسية ،مكتبة المنار، تونس ،1966، ص 77.

3 عبد الوهاب حسن حسني، المرجع السابق، ص 77.

4 عبد العزيز فيلالي، المرجع السابص119.2.

5 ابن قنفذ، الفارسية، مصدر سابق، ص119 .

6- علم التاريخ:

يعرفه ابن خلدون في مقدمته بقوله " اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم"[1]، وهو من العلوم التي لم تحظ بالعناية اللازمة من طرف العلماء الحفصين، رغم الأهمية الكبيرة للتاريخ وتركز اهتمامهم على علوم الدين واللغة العربية، ورغم ذلك فإن الحكام الحفصين أولوا أهمية كبيرة للتاريخ، كما شجعوا على الكتابات التاريخية بهدف كتابة وتدوين الأحداث الواقعة في عهدهم حتى تبقى شاهدة عليهم[2].

وتشير بعض المصادر إلى ظهور فن التاريخ في عهد المستنصر، وقد عاصرت الدولة الحفصية عدد من المؤرخين من أبرزهم في هذا المجال، نذكر منهم عبد الله محمد بن الشيخ أبي القاسم ابن علي ابن البراء التونسي التنوخي المتوفي سنة (737هـ/1338م)، والعلاّمة عبد الرحمن ابن خلدون الذي تولى الكتابة في الدولة الحفصية فكان يكتب للسلطان أبي إسحاق الحفصي[3].

بالإضافة إلى أبي العباس أحمد بن الحسن ابن قنفذ القسنطيني ت(810هـ/1407م) ألّف كتابا في التاريخ أسماه الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، وأبو عبد الله محمد بن الشمّاع ت(936هـ/1530م) ألف كتابا يتناول تاريخ الدولة الحفصية منذ نشأتها أطلق عليه اسم الأدّلة البيّنة في مفاخر الدولة الحفصية، إضافة إلى كتب التراجم والتي لها علاقة بالتاريخ ومن أهمها كتاب عنوان الدرّاية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لمؤلفه أبو العباس أحمد الغبريني ت (714هـ/1315م) والكتاب عبارة عن تراجم لمشاهير العلماء من رجال العلم و الدين والأدب والتصوف كما به بعض الإشارات إلى الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي حدثت في القرن (7هـ/13م)[4].

1 ابن خلدون، مصدر سابق، ص13.

2 عبد الرحمن الغزاوي، تاريخ المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الخليج، ط1، الأردن،2011، ص158 .

3 علاوة عمارة، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر العصر الوسيط، ط، مكتبة اقرأ، قسنطينة،الجزائر،2013، ص141 .

4 علاوة عمارة، مرجع سابق، ص141 .

ثانيا: العلوم العقلية

1-علم المنطق:

و هو علم يعصم الذهن من الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب، ويعرفه ابن خلدون بأنه" قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات"[1]، اهتم أهل المغرب بعلم المنطق منذ العهد الموحدي، كنتيجة لأفكار ابن تومرت، الذي طبق منهج الفارابي في المنطق، ولم يبرز في هذا المجال إلا عدد قليل من العلماء مقارنة بالذين برزوا في العلوم الدينية[2]، من أبرز العلماء في هذا المجال أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف البجائي ت (680هـ/1281م) من علماء وفقهاء المالكية، تعلم ببجاية وأخذ عن علماء المشرق في رحلتي الحج، تولى القضاء بتوزر، كان له معرفة بالحكمة وبراعة في علم المنطق خصوصا على طريقة المتأخرين، وله اختصار شرح ابن التلمساني لمعالم فخر الدين الرازي في أصول الفقه[3].

2-علم الطب:

يشير المؤرخون إلى أن البداية الحقيقية للفكر الطبي في القيروان بدأت على يد الطبيب المشهور إسحاق بن عمران، وهو طبيب بغدادي تعلم في بغداد و برع في الطب حتى اشتهر باسم الساعة لما يظهر من سرعة تأثير الأدوية التي كان يصنعها للمرض، وقد أستقدم إلى القيروان وقام بنشر الطب فيها حيث تلقى عليه عدد من أبناء القيروان الطب والفلسفة، وكان طبيبا حاذقا متميزا بتأليف الأدوية المركبة[4].

1 عبد الرحمن ابن خلدون، مصدر سابق، ص644.

2 نفسه، ص630.

3 الغبريني، المصدر السابق، ص 243 .

4محمد زيتون، القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية، ط1، دار المنار، القاهرة، 1988، ص394 .

وبرع من تلاميذه في القيروان إسحاق بن سليمان الإسرائيلي (320هـ/930م) الوافد من مصر استوطن القيروان وكان طبيبا وعالما مشهورا من مؤلفاته كتاب المدخل الى صناعة الطب وأقاويل الأوائل في طبائع الأغذية وقواها[1]، وفي العصر الحفصي شهد علم الطب ظهور عدد من الأطباء، نذكر منهم في عهد السلطان أبي زكريا الأوّل أحمد بن محمد بن الحشا أبو جعفر، وهو طبيب تونسي ألّف كتابا في الطب عنوانه مفيد العلوم ومبيد الهموم بطلب من الأمير أبي زكريا يحي[2]، وفي عهد السلطان أبي فارس كان أحمد بن أبي العباس الخميري من أشهر الأطباء في ذلك العصر، تتلمذ على يد الصقالبة له كتاب تحفة القادم[3]، ومنهم الطبيب عبد القاهر بن محمد بن عبد الرحمن التونسي له كتاب في الطب أسماه الطب في تدبير المسافرين ومرض الطاعون، وأيضا ابن القويع محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف الهاشمي القرشي من مشاهير الأطباء ولد بتونس كان مواظبا على مطالعة كتاب الشفاء لإبن سينا وفي سنة (690هـ/1291م) رحل الى المشرق[4].

وكذلك الطبيب أبو القاسم إبراهيم اللبي الأزدي الأنصاري القيرواني ت (893هـ/1487م) من مشاهير الأطباء بأفريقية ألّف كتابا بطلب من الأمير أبي عمر عثمان ابن أبي فارس في سنة (863هـ/1456م) وسمّاه دّرة السلوك الموضوع لسيد الملوك[5].

3-الرياضيات:

علم الرياضيات والحساب من العلوم القديمة التي عرفها العرب والمسلمون، كان من اختصاص عمال الخراج والجباية، ويعتبر علم الرياضيات من أهم العلوم التي طورها العرب[6].

1 محمد زيتون، المرجع السابق، ص394 .

2 محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين، ط1، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1982، ص 143 .

3 شوقي ضيف، مرجع سابق،ج9 ، ص178 .

4 بن القاضي، ذيل وفيات الأعيان المسمى ذرة الحجال في أسماء الرجال، تح أبو النور محمد الأحمدي، ط1،ج2، المكتبة العتيقة، تونس،1971،ص300.

5 محمد محفوظ، مصدر سابق، ج4، ص207.

6 عبد الرحمن ابن خلدون، مصدر سابق، ص635

ويعرف ابن خلدون علم الحساب " أنه من فروع علم العدد و صناعة الحساب هي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق" وهي تشمل العلوم العددية كالحساب و الجبر والهندسة[1]، وقد اهتم به العلماء الحفصيون وبرعوا فيه مثل العلوم الأخرى، من العلماء الذين برزوا في علم الحساب أبو عبد الله محمد بن الصفار ت (693هـ/1241م) أصله من قرطبة كان متضلعا في علم الحساب درس بمراكش وتونس[2].

وأبو عبد الله بن أبي بكر المنصور ت (660هـ/1262م) عالم في الفرائض، برع في العلوم العقلية في مقدمتها الحساب ، وأبو عبد الله محمد بن علي المرسي ت (728هـ/1327م) برع في عدة علوم أهمها الرياضات درس ببجاية[3].

وبعد أن تناولنا أهم المؤسسات التعليمية وطرق ومناهج التعليم فيها وأهم العلوم التي كانت تدرّس، وأهم العلماء الذين كانوا يدرسون فيها، نتطرق إلى المدارس التعليمية التي تعد من المؤسسات التعليمية الحديثة النشأة خلال العهد الحفصي، والتي سنتكلم عنها بتفصيل في الفصل الموالي.

1 عبد الرحمن ابن خلدون، مصدر سابق، ص635.

2 عاشور بوشامة، علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والاندلس 626-981هـ/1228-1537م،جامعة القاهرة،1991،ص556.

3 أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ، ص65.

الفصل الثالث

المدارس التعليمية المالكية وأثرها في العهد الحفصي

- المبحث الأول: لمحة تاريخية عن المدارس التعليمية المالكية
- المبحث الثاني: أهم المدارس التعليمية خلال العهد الحفصي
- المبحث الثالث: أثر المدارس التعليمية المالكية خلال العهد الحفصي

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن المدارس التعليمية المالكية

تعد المدارس الفقهية أولى المدارس ببلاد المشرق الإسلامي، وكان تأثيرها وانعكاسها على بلاد المغرب، حيث أسس طلابها الذين تلقوا العلم في بلاد المشرق، أول مدرسة فقهية في بلاد المغرب الإسلامي:

أولا: المدرسة المالكية في بلاد المغرب الإسلامي

انتشر المذهب المالكي، بواسطة تلاميذ الإمام مالك الوافدين إليه من بلاد المغرب الإسلامي، والذين يربو عددهم على الثلاثين تلميذاً، وكان من أبرزهم أثراً علي بن زياد (ت183هـ/799م) مؤسس المدرسة بإفريقية وعبد الرحيم بن الأشرس، والبهلول بن راشد (ت183هـ/799م)، وعبد الله بن غانم (ت190هـ/805م)، الذين يمثِّلون حجر الأساس في هيكلة المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي[1]، ثم جاء بعدهم تلميذ ابن زياد أسد بن الفُرات (ت213هـ/828م) الذي كان له أعظم الأثر في تدوين فقه المدرسة، من خلال كتابه الأسَديَّة وسُحنون (ت240هـ/854م)، الذي انتشر المذهب في أيامه[2]، بعد أن أنتجت هذه المدرسة بتعاونها مع المدرسة المصرية ذاك الأثر الفقهي الخالد (المدوَّنة)[3]، أملاها ابن القاسم بمبادرة من أسد بن الفُرات، وتحرير سُحْنون وتدقيقه، وتولَّت المدرسة التونسية القيروانية ضمان استمرارها بنشرها وتدريسها، ثم خلَف هؤلاء كوكبة أخرى، من أبرزهم أبو بكر اللبّاد (ت333هـ/944م) وهو أحد حفاظ المذهب، وابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م) الذي استطاع أن يجمع ما تناثر من روايات وآراء لأئمة المذهب في كتابه الكبير النوادر والزيادات، وقد تمخَّضت المدرسة المالكية بالقيروان عن مدرسة مالكية أخرى مدرسة فاس في المغرب الأقصى، وهي في حقيقتها امتداد علمي للمدرسة الأولى منهجاً وآراءً والتي تأسست على يد بن إسماعيل ت (357هـ/967م)، أوَّل من أدخل مدوَّنة سحنون إلى فاس وعَمَر جامع القرويين [4].

1 ابوبكر عبد الله، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ، ص323.

2 ابوبكر عبد الله، مرجع سابق، ص323.

3 القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، الطبعة الثانية .

4 سحنون الفقيه المالكي، الشيباني محمد الشقنطيطي، كتاب محضرات ملتقى الإمام سحنون، القيروان،سنة1412هـ، مركز الدراسات الاسلامية بالقيروان 1993، ص ص50-51.

بفقهه، كما عَمَر علي بن زياد جامع الزيتونة بعِلمه، ولقد صمدت المدرسة المالكية في وجه الهزَّات السياسية الكثيرة، في بلاد المغرب الإسلامي واستمرت علما ومذهبا ومنهجا علميا الى يومنا هذا[1].

ثانيا: المدرسة التعليمية في بلاد المغرب الإسلامي

- **المعنى اللغوي:**

درس الشيء، ويدرس دروسا، قيل درست قرات، ودارست ذاكرت

- **المعنى الاصطلاحي:**

المدرسة هي ذلك المكان المخصص لتدريس، وكلمة مدرسة هي مدلول مستحدث ظهر نهاية القرن الرابع الهجري، حيث أسست معاهد لتدريس العلوم الدينية، وتكون على شكل دور أو مباني بنيت لغرض التدريس فيها، يقصدها طالبو العلم بغرض تلقي العلم، والأساتذة والمعلمون، والعلماء، للتدريس فيها، مقابل رواتب من الدولة، أو من أصحاب تلك المدارس[2]، وقد صممت المدرسة، في العموم على غرف لإيواء الطلبة، وقاعة للصلاة ودَرس في آن واحد، وينتظم الجميع حول صحن مكشوف يستعمل أحيانا لإعطاء الدروس[3].

ثالثا: نشأة المدارس التعليمية في العهد الحفصي

لقد ظهرت المدرسة في العالم الإسلامي كمؤسسة نظامية ذات نظام تعليمي وإداري ومالي، في مدينة نيسابور حيث بنيت المدرسة البيهقية[4] في أوائل القرن (5هـ/11م)، لكن الإنشاء الحقيقي للمدرسة واهتمام الدولة بها، لم يكن إلا على يد الوزير السلجوقي نظام الملك (456هـ-485هـ/1227م-1249م)[5].

1 سحنون الفقيه المالكي، المصدر السابق، ص ص50-51.

2 ابن منظور محمد ابن كرم ابن علي، لسان العرب، ج6، دار المصرية القاهرة، د ت، ص ص 79-80.

3 صالح بن قرون وأخرون، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر2007، ص142.

4 نسبةً الى الشيخ أبي بكر البيهقي ، أحد أقطاب الحديث والفقه والأصول، وبيهدق هي بلدة في خرسان، ينظر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت ،1972، ص ص 20-21.

5 حسن جبر، أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها، دار الكتاب للحديث، ط2، الكويت، 1999، ص 211.

الذي لم يكن وزيرا لامعا سياسيا ماهرا فحسب، بل كان داعيا للعلم والأدب محبا لهما، فأنشأ المدرسة المعروفة باسمه (المدرسة النظامية) ببغداد، حيث أقام مجموعة من المدارس في كل من البصرة والموصل ونيسابور وعرفت جميعها بالمدارس النظامية واعتبرت أول مدرسة في الإسلام، قرر فيها رواتبًا وأجورًا للمدرسين[1]، وبعدها انتشرت المدارس، في بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى بلاد المغرب الإسلامي، بداية من القرن (7هـ/13م) الذي شهد ظهور أول مدرسة نظامية في بلاد المغرب الإسلامي، أنشاها الأمير أبو زكريا يحي بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي بكر بن أبي حفص (624-647هـ/1227-1249م)، عرفت باسم المدرسة الشماعية التي عرفت فيما بعد بأم المدارس[2]، ثم انتشرت حركة تأسيس المدارس في بلاد المغرب الأقصى، سنة(675هـ) وتأخرت في بلاد المغرب الأوسط حتى القرن (8هـ/14م)[3].

المبحث الثاني: أهم المدارس التعليمية خلال العهد الحفصي

إن إنشاء المدارس ارتبط ارتباطًا وثيقا بالوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، الذي كان لها دور أساسي في إنشائها، فالرخاء والازدهار والاستقرار، ساهموا بشكل كبير في بناء المدارس باختلاف أهدافها السياسية منها والمذهبية، والتي كانت ذات طابع رسمي ، والتي أسست من طرف أشخاص ينتمون إلى النظام الحاكم كالسلاطين والأمراء والأميرات . ومدارس خاصة أسست من طرف خواص من علماء وميسوري الحال في عهد الدولة الحفصية، وخاصة المدارس التعليمية المالكية في العهد الحفصي[4]، والتي سنتناول أهمها:

1- المدرسة الشماعية:

سميت بالشماعية نسبة لسوق الشماعين الذي كان حولها، حيث كان الحرفيون يصنعون الشمع من شهد العسل في أوائل الدولة الحفصية، وتعرف بأم المدارس تعظيما لشأنها ورقيها الثقافي والفكري[5].

1 حسن جبر، المرجع السابق ، ص 211.

2 ابن ابي دينار، المصدر السابق، ص 119.

3 ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1968، ص 08.

4 عبد العزيز الدولاتي ، مدينة تونس في العهد الحفصي، تونس، 1981، ص 139 .

5 محمد بن خوجة ، تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2،1985، ص285.

وكانت تستقطب الطلاب والعلماء، حيث تعد أول مدرسة شيدت في العهد الحفصي، لم تذكر لنا المصادر التاريخية بالتحديد سنة بناء المدرسة لكن الراجح أنها في حدود حوالي سنة (634هـ/ 1236م) أي بعد إتمام بناء صومعة جامع القصبة، أسست على يد الأمير أبي زكريا بن يحي مؤسس الدولة الحفصية، الذي شيد عدة منشئات دينية وعلمية لإرساء أسس دولته، ومن أشهر من أقام بها ابن ناجي التنوخي ت (939هـ/1435م)[1].

وكان يتم اختيار خيرة العلماء للتدريس بالشماعية من قضاة الجماعة وأئمة جامع الزيتونة[2] . وتزخر المصادر بأسماء مدرسين كثيرين درسوا بها . ومن الأمثلة على ذلك ابو العباس أحمد بن محمد القلشاني الخطيب والمفتي والقاضي (753-863هـ/1458-1382م) ولد بباجة تولى قضاء الأنكحة والتدريس. وأبو علي عمر بن قداح الهواري الذي تولى التدريس بالمدرسة الشماعية[3] . وقاضي الأنكحة بتونس ثم قضاء الجماعة . ولا شك أن هذا يدل على أهمية المدرسة ومقارنة مستواها بالمستوى الجامعي في وقتنا الحاضر[4]. ولم تزودنا المصادر اسم أول من تولى خطة التدريس بالشماعية لكنها ذكرت ابن البراء التنوخي (580هـ/1184م) كان إماما بجامع الزيتونة وخطيبا بجامع القصبة ومن الممكن أن يكون القاضي أبا القاسم بن زيتون (620-690هـ/1223-1291م) قاضي الجماعة في تونس هو من تولى المدرسة من بعده وقائمة أساتذة المدرسة الشماعية لا تقتصر على هؤلاء فقط فعددهم كبير، نظرا لمكانتها العلمية، ومن الأدلة على أهميتها اهتمام النظام الحاكم بها ودعمها[5].

1 ابن ناجي التنوخي، ولد ودرس بالقيروان تم انتقل إلى تونس فأخذ على أساتذتها، وولي الإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بالقيروان تم قدم قاضيا وخطيبا بجزيرة جربة ثم قضاء قابس سوسة ثم باجة ثم تبسة، أنظر التنبكتي، المصدر السابق، ص 283

2 الطاهر المعموري، جامع الزيتونة ومدارس تونس في العهدين الحفصي والتركي، دار العربية للكتاب، تونس، ص 81.

3 أنظر الملحق رقم2، محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص127، وعبد لعزيز دولاتي، مرجع سابق، ص 24.

4 محمد الباجي بن مامي، مدارس مدينة تونس، المعهد الوطني للتراث، تونس ،2006 ،ص75.

5 الزركشي، مصدر سابق، تونس 1966، ص 149.

2- المدرسة التوفيقية:

تسمى أيضا مدرسة الهواء . و هي من مآثر الأميرة الحفصية عطف زوجة أبي زكريا، وهي جارية من الجلالقة، أهداها بعض أجداد بن خلدون الى أبي زكريا أيام ولايته بإشبيلية، فاتخذها أم ولد وكان له منها أبو يحي زكريا وولي عهده المتوفى في أيامه وأخواه عمر وأبوبكر وأم السلطان محمد المستنصر بالله [1]، تأسست المدرسة سنة(650هـ/1252م)، وقد أقيمت في الحي السلطاني الذي كان يقطنه عدد من الأعيان وشيوخ الموحدين وخدمة البلاط الحفصي، وعرف هذا المكان أيضا فيما بعد برحبة الغنم وقد أنشئت على ربوة جنوب القصبة، و كان سبب تسميتها بمدرسة الهواء أيضا لحسن مناخها وارتفاع موقعها، وكان هناك أوقاف كثيرة جارية لاستدامة التوفيقية[2].

كما تولى خطة التدريس بها الشيخ أبوبكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعموري الأشبيلي الاندلسي (600-659هـ/1203-1261م) . فقيه من علماء الأندلس ولد بإشبيلية أول من تولى التدريس بالتوفيقية [3]، ومن أهم من درس بها الفقيه والقاضي محمد القلشاني وت(749-863هـ/1377-1459م) صاحب مؤلف تحرير المقالة في شرح الرسالة[4]،والإمام محمد بن عرفة وت(716-803هـ/1316-1453م) تولى إمامة الجامع الاعظم سنة(750هـ/1349م) من مؤلفاته مختصره الفقهي في المذهب المالكي والمبسوط في المذهب[5]، وممن سكنها الشيخ محمد الأبي عالم بالحديث وفقيه ومفسر من أشهر مؤلفاته إكمال المعلم في شرح مسلم شرح المدونة في فروع الفقه المالكي[6]، وابن الطواح كان حيا (714هـ/1314م) من أهل مدينة تونس له كتاب سبك المقال لفك العقال، وتعد التوفيقية أول معهد علمي مستقل أسس في العهد الحفصي[7].

1 محمد بن خوجة ، المصدر السابق ص 78- 79.

2 تقع غرب مدينة تونس بالقرب من ساحة الغنم التي تعرف اليوم بساحة معقل الزعيم أسسها الولي الصالح أبو الفضل قاسم أحمد الصدفي الفاسي تم تشيدها سنة(898هـ/1492م).

3 التنبكتي ، نيل الابتهاج ، ص 381.

4 السنوسي المصدرالسابق،ج3،ص57.

5 الأبي ،إكمال المعلم ،ج6،ص33.

6 محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين، ج1، ص 37.

7 نفسه ،ج3، ص 283.

3- المدرسة العصفورية:

يعود تأسيسها الى العهد الحفصي وتنسب إلى أبي الحسن علي بن موسى الحضرمي المعروف بابن العصفور وهو نحوي أصيل من مدينة إشبيلية الأندلسية وصاحب كتاب المغرب والممتع في التصريف وكتاب المقرب في النحو، سنة (597- 666هـ/1200-1271م) . يعد لواء اللغة العربية بالأندلس، ولم تذكر لنا المصادر تاريخ تأسيس المدرسة حيث رجح أنها تأسست حوالي (742هـ/1342م)[1]. تقع العصفورية بزنقة سوق العطارين بدرب ابن عبد السلام قرب جامع الزيتونة . من أسماء الذين دِرسوا بالمدرسة العصفورية نجد مؤمن بن محمد بن العصفور، ماعد ذلك فان المصادر لم تذكر أسماء الدارسين بها أو اسم أي مدرس عين بها، ولكون المدرسة ليست من تأسيس أحد السلاطين أو الأمراء أو البلاط الحفصي ولم تولها المصادر والمؤلفات في تلك الفترة أهمية، إذ تعد من تأسيس الجالية الأندلسية الوافدة على تونس ومؤسس هذه المدرسة أندلسي المنشأ والولادة وأنتقل إليها كوافد ومدرس في عهد الأمير المستنصر بالله ثم أنتقل إلى بجاية ثم عاد إلى الأندلس، ثم سلا في المغرب الأقصى وبعد سقوط إشبيليه بيد الإسبان سنة (646هـ) عاد إلى تونس بدعوة من الأمير المستنصر وتوفي هناك سنة (666هـ/1271م)[2].

4- المدرسة المعريضية:

تعد من أقدم المدارس في العهد الحفصي، أسست على يد الأمير أبي زكريا يحي ابن أبي إسحاق إبراهيم في حدود سنة (680هـ/1281م) . تقع بجانب الجامع الأعظم في سوق العبيد في موضع كان به فندق يباع فيه الخمر الذي كان يدعى المعرض، الذي أخذت منه المدرسة التسمية، كما عرفت بمدرسة الكتبيين، ونالت شهرة واسعة وقدمت خدامات جليلة لطلاب العلم[3].

1 عبد الله محمد بن إبراهيم اللولوي الزركشي ، المصدر السابق ،ص29-30 .

2 ابن شاكر الكتبي ،فوات الوفيات، تح إحسان عباس ، بيروت ، 1973، ص ص 184-185.

3 روبار برنشفيك ، مرجع سابق، ص 382

حيث يقول الزركشي"... وكان الأمير أبو زكريا ابن السلطان أبي إسحاق الذي تربى في حجر أبيه في مدينة تونس، وكان سكناه إذ ذاك بدار الغوري[1]، وكان نزيه النفس محبا للعلم وأهله، وكان بإزاء دار الغوري فندق يسكنه أهل السرف[2] فبلغه ذلك فأمر أن يبني مدرسة للعلم فبنى مدرسة المعرض ..."[3]، ودرس فيها أبو العباس أحمد بن محمد القريشي الغرناطي ت(692هـ/1293م)، وهو من المدرسين الأجلاء بتونس وهو أول من درس بالمدرسة المعريضية وصاحب كتاب المشوق في علماء المشرق والمغرب تخرج على يديه عدد كبير من العلماء[4].

وكذلك الشيخ أبو عبد الله الزنديوي، وت (774-874هـ/1469-1469م) قاضي قسنطينة ودرس بالمدرسة المعريضية وله كتاب في تفسير القرآن[5]، وكان ممن يحضرون الدروس في المدرسة، أحمد ابن عروس ت (868هـ/1464م) صاحب الطريقة العروسية المأخوذة من الشاذلية، وهارون ابو موسى الحميري التونسي ت (724هـ) مفتي وامام جامع الزيتونة، والمقري التلمساني وت (992-1041هـ/1584-1631م) المؤرخ والأديب صاحب كتاب نفح الطيب[6].

وقد نالت هذه المدرسة منزلة رفيعة ، واستقطبت العديد من طالبي العلم من كل مكان وخيرة العلماء للتدريس فيها من شتى الأقطار الإسلامية. كما اشتهرت بحسن بنائها وكثرة أوقافها، وعناية السلاطين بها وتوفرت على الكثير من الكتب المتنوعة وامتلأت الخزائن بها وتنافس الطلاب فيها[7].

1 دار الغوري: كانت احد قصور الهامة بتونس، انتقل اليها الواثق عندما خلع نفسه، وسكن بها، أنظر الزركشي تاريخ دولتين ، ص43.

2 السرف، يعني التبذير والمقصود هنا إنفاق المال في غير وجه الله، أي في المعاصي واللهو والمجون.

3 الزركشي، المصدر السابق، ص 51.

4 التنبكتي، المصدر السابق، ص 64

5 محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص 425.

6 المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق سعيد احمد أعراب، عبد السلام الهراس ، الجزء الخامس ، 1980 ، ص 53.

7 ابن قنفد القسنطيني، مصدر السابق، ص 15.

5- المدرسة المرجانية :

يعود تأسيس المرجانية إلى العهد الحفصي، حيث كانت زاوية تعرف برباط المرجاني بنيت في عهد الخليفة ابي حفص عمر ت (683هـ/1284م) أنشئت من أجل طلبة العلم وتحولت إلى مدرسة في حكم الخليفة أبو عبد الله محمد أبو عصيدة بين سنتي (693هـ-699هـ/1293م/1299م)، تقع في الضاحية الشمالية لمدينة تونس بجانب باب الخضراء وهو أحد أبواب المدينة العتيقة، محمد بن خوجة ينسب المدرسة الى الولي الصالح أبي محمد عبد الله المرجاني (699هـ/1299م)، الذي عرف بتصوفه وهو من أصحاب الإمام الحسن الشاذلي صاحب جامع أبي محمد خارج باب السويقة والمنسوب إليه. إن المدرسة المرجانية لم تكن على قدر كبير من الأهمية مثل بقية المدارس، في العهد الحفصي كانت تعد من المدارس الثرية نظرا لكثرة الاوقاف المحبسة عليها[1]، والمصادر لم تذكر أسماء الدارسين بها أو أسماء مدرسين آخرين عينوا بها ولم تزودنا باسم أول من تولى بها خطة التدريس[2].

6- المدرسة المغربية:

بنيت من طرف الشيخ المتصوف ابو عبد الله المغربي المعروف بإبن قصير ت (689هـ/1290م)[3]، أما عن موقعها توجد بنهج تربة الباي، مقابلة للمدرسة المرجانية، وتعتبر المدرسة من بقايا العهد الحفصي، ولم نسمع عنها من أهل العلم إلا أنها كانت بحال خراب في الزمن الماضي وأعاد تجديدها وعمارتها الشيخ الشاذلي بن صالح كبير وهو من أهل الشورى المالكية[4]، أما عن طلبة العلم فلم تذكر المؤلفات إلا ابو عبد الله محمد بن قاسم الانصاري المكنى بالرصاع نسبة الى جده الرابع الذي كان يرصع المنابر والسقوف ت (894هـ/1488م) صاحب كتاب الفهرست، كما لم تذكر المصادر الذين درسوا بها[5].

1 ابن الشماع، مصدر سابق، ص 95.

2 محمد بن خوجة، مصدر سابق، ص 292.

3 ابو عبد الله المغربي من الاولياء الصالحين المتصوفة الذين استوطنوا تونس، وكان له اهمية كبيرة ، ينظر ابن ناجي، مصدر سابق،ج1، ص 108

4 أحمد الطويلي، مراكز الثقافة و645. بمدينة تونس في العهد الحفصي، تونس سنة 2000، ص 49.

5 الرصاع، فهرست الرصاع، تحقيق وتعليق محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس المكتبة العتيقة، سنة 1967، ص 194.

7-المدرسة العنقية:

بنيت المدرسة على يد الأميرة فاطمة بنت الأمير أبي زكريا الحفصي، أخت السلطان أبي يحي أبي بكر المتوكل على الله، وتقع في نهج يشبه عنق الجمل في انحنائه وتعاريجه، حيث سميت المدرسة على ذلك الشكل[1]، ولقد انتدبت الأميرة فاطمة لإدارتها والتدريس فيها قاضي الجماعة ابن عبد السلام الهواري وت (676-749هـ/1277-1348م)، الذي كان يقسم أيام الأسبوع في التدريس بين المدرسة الشماعية والعنقية لكن الأميرة عزلته والتهمته بالتفريط والتقصير وعوضته بالشيخ محمد بن سلامة بن حسن الأنصاري التونسي ت (746هـ/1356م) فقيه وامام بجامع الزيتونة ومؤلف كتاب مفردة يعقوب[2].

ومن الذين تناولوا التدريس بالمدرسة، تلميذ ابن عرفة، وقاضي الجماعة أبو مهدي عيسى الغبريني الذي دام تدريسه فيها حتى وفاته سنة (813هـ/1410م)، وهو عالم وفقيه وصاحب مؤلف جواهر الحسان في تفسير القرآن، تولى القضاء والإمامة بجامع القصبة، ثم جامع الزيتونة[3]، ثم خلفه أبو عبد الله محمد القلشاني ت(837هـ/1433م) للتدريس بها، وأغلب من تولى التدريس بالمدرسة العنقية من عائلة القلشاني [4].

أما عن أشهر الطلبة الدين درسوا بالمدرسة، فنذكر الفقيه ابن عرفة الذي درس فيها على يد ابن سلامة[5]، والفقيه محمد الواصلي الذي أخذ العلم عن عمر القلشاني، وأبو عبد الله محمد بن عقاب ت (851-1447م)، الذي تولى القضاء بتونس والإمامة والخطابة بالجامع الأعظم، وأبو عبد الله الرصاع ، وغيرهم، وبقيت هذه المدرسة مركزا علميا مزدهرا يقبل عليها طلبة العلم لخبرة الأساتذة الذين كانوا يدرسون بها[6].

1 ابن خوجة، المرجع السابق ،ص 293.

2 ابن الشماع، الادلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصة، تح الطاهر ابن محمد المعموري، دار العربي للكتاب سنة 1984، ص 18.

3 التنبكتي، المصدر السابق، 193

4 الرصاع، المصدر السابق، ص 166.

5 السنوسي، مسامرات الظريف بحسن التعريف، تح محمد الشاذلي النيفر، ج3 ، دار الغرب الاسلامي سنة 1994، ص 55 .

6 محمد السراج، الحلل الأندلسية في الأخبار التونسية، ط 1 ، تح محمد الحبيب الهيلة ، دار التونسية لنشر، تونس 1970، ص 606 .

8- مدرسة ابن تافرجين:

تعد من المدارس الحفصية التي كان لها شأن عظيم، حيث شيدها ابن تافرجين سنة (759هـ/1356م) . وتقع المدرسة بنهج سيدي براهيم بقنطرة ابن ساكن داخل باب السويقة، وتعد المدرسة أول نوع من مدارس الأضرحة في أفريقية المقتبسة من المشرق . حيث دفن بها مؤسسها، ابو محمد عبد الله بن تافرجين سنة (766هـ/1364م) الحاجب والوزير والسياسي المحنك الوصي على السلطان الحفصي ابي اسحاق ابراهيم بن ابي بكر الذي تزوج ابنة تافرجين بعد ذلك[1].

ولقد درس فيها خيرة علماء ذلك الزمان، إلا أن المصادر لم تشر إلا لبعض منهم، مثل ابو الفضل ابو القاسم بن احمد المعروف بالبرزلي القيرواني وت (740-833هـ/1339-1429م) ويلقب بشيخ الاسلام، ومن مؤلفاته جامع مسائل الأحكام فيما نزل بالمفتين والحكام، ويعرف بديوان البرزلي[2]، وحفيد المدرسة العصفورية ابن عصفور علي بن مؤمن بن محمد وت (597-669

هـ/1200-1271م) مؤلف كتاب إنارة الدياج، والذي تولى التدريس فيها بعد الشيخ أبي القاسم، وبعد موته تولى التدريس بها أبو عبد الله محمد الغافقي، الذي كان خطيبا ومفتيا بجامع باب الجزيرة، أما عن طلبتها، فنجد الشيخ أبا الحسن علي العلوي، الذي كان يعد من الأولياء الصالحين، كما ورد في المصادر، التي لم تذكر الكثير عن حياته، وكذلك أبو العباس أحمد بن سعيد بن محمد بن مسعود الجزيري.[3]

1 روبار برنشيفيك، المرجع السابق، ج1، ص 202

2 محمد محفوظ، المرجع السابق، ج1، ص87

3 محمد السنوسي، المصدر السابق، ص103.

09- المدرسة الحكيمية:

شيدت هذه المدرسة في عهد أبي زكريا الأول، ونسبت إلى محمد بن علي النحوي المعروف بابن الحكيم، الذي كان أبوه من أهم أطباء في تلك الفترة، ويرجع بعض المؤرخين تاريخ بنائها إلى قبل سنة (744هـ/1343م)، ومن أشهر من درسوا بها من العلماء، الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي ت (830هـ/1427م)،عالم وفقيه تتلمذ على يد ابن عرفة، له عدة مؤلفات منها شرح المدونة وكتاب الجمل في المنطق والشيخ الصالح أبا العباس أحمد الماكري الذي قال عنه الرصاع في كتابه الفهرست "... نزل بالحضرة العلية قاصدا الحج، وكان قد أقام بها مدة ونزل بمدرسة ابن الحكيم..."[1].

10-مدرسة القائد نبيل

تعتبر أول مدرسة أسسها قائد عسكري، وسميت باسمه، وهو القائد نبيل بوقطاية ت (857هـ/1453م) شيدها سنة (850هـ/1446م)، وتقع شرقي باب ينتجمي أحد أبواب القصبة[2]، ودرس بها الشيخ الفقيه أبا إسحاق إبراهيم الاخضاري[3]، وخلفه أبو العباس أحمد بن عبد الرحمان بن موسى بن عبد الحق اليزلتيني المكنى بحلولو وت (815-898هـ/1412-1492م) تولى القضاء بطرابلس ثم عاد إلى تونس وتولى التدريس بالمدرسة، ومن مؤلفاته شرح عقيدة الرسالة وتوضيح في شرح التلقيح والضياء اللامع في شرح جمع الجوامع[4].

1 الرصاع، المصر السابق، ص 192.

2 نبيل بوقطاية قائد جيوش السلطان ابي فارس عبد العزيز وكان له دور كبير عند محاصرة مدينة تلمسان سنة(834هـ/1430م) عند وفاته دفن بمدرسته، ينظر الزركشي، المصدر السابق، ص ص 129-142

3 الزركشي، مصدر سابق، ص 144

4 محمد محفوظ، المرجع السابق، ج2، ص 165

11- مدرسة باب البحر:

شيدت هذه المدرسة سنة(801هـ/1398م) مكان فندق باب البحر، كان يباع فيه الخمر، ويدر أموالا طائلة على خزينة الدولة من الضرائب[1]، فبنى الخليفة الحفصي أبو فارس عبد العزيز بن ابي العباس المدرسة مكانه، كما اشتهر الخليفة برعاية العلماء وتنشيط الحركة العلمية في عهده لشغفه بالعلم وأهله، وفي ذلك يقول الشماع "...أن من حسنات أبي فارس قطعة للقبالة التي كانت خارج باب البحر وبناؤه موضعها موضعا للصلاة ولتدريس العلم، وقراءة القرآن وسكنى للطلبة، وأوقف عليها وقفا مؤبدا يكفيها، وجعل فيها سباطا جاريا للمقيمين بها والواردين عليها، فعمرت بسببه واستمرت عمارتها حتى الآن..."[2].

ولقد درس فيها الشيخ الفقيه الصوفي أحمد بن كحيل وت (802-869هـ/1400-1465م)، من مؤلفاته في الفقه، المقدمات، الوثائق العصرية، وعون السائرين الى الحق في التصوف، وخلفه أبو عبد الله محمد الرصاع، وعند انتقال هذا الأخير للتدريس في المدرسة الشماعية، عوضه محمد القسنطيني وت (819-878هـ/1414-1474م) تولى قضاء الأنكحة بتونس، من مؤلفاته تأليف في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي صلى عليه وسلم[3].

12- المدرسة المنتصرية:

تنسب هذه المدرسة المنتصرية[4] إلى السلطان أبي عبد الله محمد المنتصر الحفصي، في القرن (9هـ/15م) وهي أول مدرسة تسمى باسم أمير حفصي، الذي شرع في بنائها، في سنة (838هـ/1434م) بالقرب من سوق القلعة في مدينة تونس، لكنه توفي قبل إتمام بنائها، سنة (839هـ/1435م)[5].

1 الترجمان، تحفة الأريب في ربط على أهل الصليب، تح عمر وفيق الدعوق، ط 1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988، ص 16.
2 ابن الشماع، المصدر سابق، ص 145.
3 الزركشي، مصدر سابق، ص 158.
4 أنظر الملحق رقم3، محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص 560، ومحمد مامي الباجي، مرجع سابق، ص144.
5 ابن الشماع، المصدر نفسه، ص 155.

ويقول الزركشي"...ولأول ولايته في عام ثمانية وثلاثين أمر ببناء المدرسة الكائنة بسوق القلعة من تونس وبناء السيالة الكائنة بداخل باب أبي سعدون من تونس..."[1]، وقد أكمل بناءها أخوه السلطان عثمان، سنة(841هـ/1438م) ، وأوقف عليها أوقافا كثيرة ، و كانت تحتوي على 366 بيتا، وإقامة خزائن خاصة بالكتب، هذا يدل على ضخامة بنائها و العدد الهائل من الطلبة الوافدين عليها ، كانت المنتصرية على قدر كبير من الأهمية فعظم شأنها وأصبحت تضاهي المدرسة الشماعية من حيث المكانة العلمية ، وامتازت بهندسة معمارية خاصة، تعد تطورا في بناء المدارس الحفصية[2]، كما كان أغلب مدرسيها من خيرة شيوخ علماء أفريقية ، فقد عين بها للتدريس محمد الزنديوي[3]، ومحمد عقاب وأحمد القسنطيني قاضي الأنكحة[4]. وأحمد القلشاني وأبو عبد الله البيد موري الذي كان مدرسا وناظرا في الاحباس الفقهية حسب قول الزركشي[5]، الزركشي[5]، بالإضافة إلى العالم إبراهيم الأخضري و محمد الواصلي و أبوعبد الله محمد الشريف كما اشتغل معيدا بها الإمام الرصاع فترة من حياته[6].

13- المدرسة الجديدة:

وتسمى كذلك بالمدرسة العثمانية، أو الجديدة، أو مدرسة زنقة سيدي محرز أو مدرسة دار صولة، شيدت على يد السلطان أبي عمرو عثمان الحفصي، سنة (840هـ/1440م)، وتقع في زنقة الولي الصالح سيدي محرز بن خلف[7]، وأوقف عليها أوقافا كثيرة تكفيها، وجعل فيها مسجدا للصلاة، ورباطا لسكنى الطلبة، الطلبة، وجعل فيها ماء مستمرا يسقي منها الطلبة وعابري السبيل، من الوافدين إليها[8].

1 الزركشي، المصدر السابق ، ص 132.
2 أحمد الطويلي، مرجع سابق، ص 46.
3 السنوسي، المصدر السابق، ج3، ص 57
4 ابن خوجة، المصدر السابق، ص 295
5 الزركشي، المصدر نفسه، ص 152.
6 القلصادي، رحلة القلصادي، تح أبو الاجفان محمد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1982، ص 115.
7 أحمد الطويلي، مرجع سابق، ج 5، ص 98 .
8 الزركشي، مصدر نفسه، ص 136.

وتولى التدريس فيها خيرة الشيوخ والعلماء كان أولهم، الشيخ محمد الزنديوي (ت847هـ/1469م)، الذي درس فيها بضعة أشهر وانتقل بعدها قاضيا في قسنطينة، وخلفه الفقيه أبو العباس أحمد القلشاني، في سنة (851هـ/1447م) تولى أحمد بن عبد الله ابن عقاب التدريس فيها، كما درس فيها كذلك القلصادي الأندلسي وت(835-891هـ/1422-1487م) فقيها مالكيا عالما بالفروض والنحو، برز في علم الرياضيات، ومن مؤلفاته، كتاب قانون الحساب، واشرف المسالك الى مذهب الإمام مالك، حيث قال عن المدرسة " وعدت إلى السكنى بالمدرسة الجديدة قرب الولي سيدي محرز وتجددت القراءة هناك مع بعض الأصحاب كسيدي منصور السميدي وغيره ،جمعنا الله وإياهم في مستقر رحمته" [1]، ولقد أدت هذه المدرسة دورا مهما في نشر العلم، وحظيت برعاية السلاطين، حيث خصص لها السلطان أبي فارس عبد العزيز خزانة مليئة بالكتب ودواوين التي كانت في قصره، وبنى لها مقصورة بموضع من جامع الزيتونة، وسمح للطلبة بالاستفادة منها وعين عليها من يقوم بتنظيفها وتكفل بطلبات الطلاب فيها وأوقف لها وقفا، كما قام كذلك السلطان عثمان أبو عمروا، بإخراج الكتب التي كانت في قصره، وصنع لها خزانة بالمقصورة الشرقية بالجامع الأعظم، خدمة للعلماء وطلاب العلم[2].

المبحث الثالث: أثر المدارس التعليمية المالكية خلال العهد الحفصي

أولا : أثرها في تطور مناهج التعليم

مما لاشك فيه أن للمدارس في الدولة الحفصية مكانة متميزة واحترام عند العامة، وكان أصحاب المدارس يختارون لمدارسهم أساتذة وشيوخ عرفوا بالعلم الواسع والخلق الحسن، واشترطوا على أساتذتها وطلابها آدابا يجب التحلي بها، فمن شروط الأستاذ المدرس أن يكون مهذبًا وذو اخلاقٍ حميدة متدينًا حليمًا ورعًا وقورًا وقدوة حسنة، وعلى الطلاب إفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام[3].

1 القلصادي، المصدر السابق، ص ص 155-160.

2 أبن الشماع، المصدر السابق، ص ص 144-145.

3 برهان الزرنوجي، تعليم المتعلم ،مكتبة الثقافية الدينية، ط1،القاهرة ،2003، ص 205.

ونتيجة لاشتغال المهاجرين الأندلسيين في مجال التعليم في الفترة الحفصية بغرض الاسترزاق تغيرت طرق ومناهج التعليم، وكان الإقبال والتهافت عليهم كبيرًا إلى حد جعلهم يحتكرون مهنة التعليم، وذلك لتفوقهم الثقافي وانتشار المعرفة في صفوفهم، وأدخلوا أساليب تربوية حديثة أثروا بها في طرق التعليم[1]، وفي خضم التحول الذي شهده المغرب الأدنى في ميدان التعليم يقول ابن خلدون: " وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف الروايات وقراءته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبعا لذلك وبالجملة فطريقتهم لتعليم القرآن قريبة الى طريقة الاندلس، لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين أجازوا عند تغلب النصارى على شرق الأندلس واستقروا بتونس وأخذ عنهم ولدانهم بعد ذلك"[2]، وكان التأثير الأندلسي قد عم معظم البلاد التونسية باستثناء المناطق النائية كبلاد الجريد، وهي بلاد لم تكن تستهوي الأندلسيين، ولم يقتصر تأثيرهم على التعليم الابتدائي فقط بل شمل التعليم العالي أيضا، والذي شهد منافسة بين الأندلسيين وأهل البلاد الأصلين، إلا أن الحفصيين كانوا ميالين إلى المدرسيين الأندلسيين لكفاءتهم العالية وشهرتهم الواسعة[3].

وفي هذا الإطار نشير إلى بعض المهاجرين الذين امتهنوا التعليم نذكر منهم إسحاق بن محمد بن علي العبدري الميورقي ت (653هـ/1255م) الفقيه في علم القراءات، هاجر إلى تونس بعد سقوط جزيرة ميورقة اشتغل بالتدريس حتى وفاته[4]، وأبو العباس أحمد بن محمد القرشي الغرناطي ت (692هـ/1293م) الفقيه و المحدث والمؤرخ، أول من درس بالمدرسة المعريضية من المدرسين الأجلاء بتونس تولى التدريس بالجامع الأعظم ببجاية[5].

1 محمد طالبي، الهجرة الاندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975، ص65.
2 ابن خلدون، المقدمة، المرجع السابق، ص ص 584– 588.
3 محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1،مطبعة أفريقية الشرق،1991،ص36.
4 عاشور بوشامة، المرجع السابق،ص558.
5 التنبكتي، نيل الابتهاج، المصدر السابق، ص64.

بالإضافة إلى الشيخ أبابكر محمد بن أحمد سيد الناس الإشبيلي ت (686هـ/1287م) الذي كان حافظا للحديث من علماء الأندلس اشتغل بالتدريس والتعليم[1].

كما شهدت المؤسسات التعليمية المختلفة تنوعا في المناهج، فهناك مناهج للمساجد وأخرى للزوايا بالإضافة إلى الربط وغيرها، والمدارس هي الأخرى عرفت تطورا كبيرا في مناهج التدريس وتفرع في التعليم، فنجد إلى جانب العلوم الشرعية دروسا في الفقه والمنطق والحساب والطب والنحو وغيرها من العلوم العقلية، وذلك يعود إلى سلاطين بني حفص الذين شجعوا على تشييد وبناء المدارس التعليمية، وحبسوا لها أوقافا هامة حتى تستطيع أن تنفق منه فيما تحتاج إليه من مرتبات الشيوخ والأساتذة وإلى غير ذلك من المصروفات والحاجيات لتكون منارة للعلم وأداة للتعليم[2]، والتي لم يقتصر التدريس فيها على العلوم المحلية وإنما تغذي من رافدين هما المشرق والأندلس، وهكذا أخذ حال التعليم في الانتظام واستطاعت المدارس أن تقوم بمهامها على أكمل وجه، ولقد ساهمت المدارس التعليمية مساهمة فعالة في تطوير وازدهار المنهج الدراسي وتفعيل طرق التدريس[3]، حيث عكف السلاطين على تنصيب أفضل الأساتذة والمشايخ ذوي المؤهلات العلمية والكفاءات العالية للتدريس بها، وهنا نذكر الأستاذ الشيخ أبو القاسم بن أبي بكر بن أحمد بن زيتون (621-691هـ/1258-1299م) المدرس الشهير مجدد الطريقة التعليمية بتونس، كانت حلقته بالمدرسة تغص بالطلبة وكان قد عين قاضياً للقضاة، أشتهر بالاجتهاد واعتماد العقل والابتعاد عن طريق الرواية والحفظ التي كانت معتمدة بتونس، وفي هذا الصدد دعا ابن خلدون إلى اعتماد طريقته التعليمية كما نوه بتجديده العلمي في التدريس[4].

1 الغبريني، المصدر السابق ص 91.

2 ابن مامي، مرجع سابق ، ص43 .

3 محمد بن خوجة، مرجع سابق،ص187 .

4 ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة والشعبية للجيش الجزائر،2007، ص22.

لقد كان أساتذة مدارس المغرب الأدنى شيوخا أجلاء متفوقين يتميزون بغزارة في العلوم خاصة في مجال تخصصه، بالإضافة إلى النزاهة والأمانة العلمية حيث نهلوا من مختلف العلوم من المشرق والحجاز وهم متخصصون في تدريس علوم مختلفة، ولم يقتصر تدريسهم على مدرسة بعينها بل كانوا يتنقلون بين مدارسه ومساجده من أجل نشر العلم بين معظم فئات المجتمع الحفصي[1].

لقد كان التهافت على حب التعلم كبيرا من طرف طلبة العلم، وكان يزيد أو يقل حسب الشيخ المتصدر لخطة التدريس بالمدرسة، وكان عدد العلماء والمدرسين مرتفعا أيضا فقد أحصى محمد بن خوجة معتمدا على رحلة ابن الرشيد ما لا يقل على خمسة وثلاثين عالما أندلسيًا دخلوا أفريقية، وفي كتاب عنوان الدراية للغبريني تم إحصاء ثلاثة وثلاثين من مشايخ الأندلس، وكل هؤلاء درّسوا بمدارس الدولة الحفصية وبثّوا علومهم حسب طريقة الإجازة المألوفة، وهكذا برز جيل جديد من العلماء الذين تخرجوا من مساجد ومدارس المغرب الأدنى، فالمدارس في العصر الحفصي كانت قمة في التنظيم بما يخدم العالم والمتعلم معًا، ويتماشى مع سياسة الدولة ومتطلبات المجتمع المسلم، وهي ذات ملامح قريبة جدا من المدرسة في عصرنا[2].

ثانيا: أثرها في ثبيت المذهب المالكي:

إذا كان إنشاء المدارس في بلاد المغرب في عصر الموحدين كان يهدف إلى بث الدعوة الموحدية والانتصار للعقيدة الأشعرية وتخريج الموظفين وتكوين الأطر الإدارية حسبما جرت عليه العادة، فإن كل دولة ناشئة تؤسس مركزًا حديثًا لتكوين موظفيها حتى تثق بسلوكهم العملي والإداري[3]، ويجدر الإشارة إلى أن الدولة الحفصية قامت في بدايتها على الدعوة الموحدية والانتصار للمذهب الموحدي، لكنهم لم ينجحوا في ذلك، ويفسر روبار برنشفيك هذا الفشل بكونه نتيجة للمقاومة التي وجدوها من قبل فقهاء المالكية الذين حافظوا على نفوذهم وقوتهم ومكانتهم في إفريقية[4].

1 عبد العزيز فلالي، المرجع السابق، ج2، ص351.

2 الغبريني، المصدر السابق، ص246-247.

3 الطاهر المعموري، جامع الزيتونة، المرجع السابق، ص80.

4 روبار برنشفيك، تاريخ افريقيا،ج2، ص305.

وقد لاحظ الحفصيون أن قيامهم بتشييد المدارس لن يكون إلا لصالح المذهب المالكي، ولن يأتي بأية فائدة لمذهبهم ولا يساعدهم على تثبيت حكمهم، وقد وجدوا أنفسهم مجبرين من جهة على التعامل مع أعمدة فقهاء المالكية، خاصة منهم محمد ابن عبد السلام وابن عرفة وأبا القاسم بن زيتون الذين سبق الإشارة إليهم ونظرا لإتباع كل العامة المذهب المالكي[1]، ومن جهة أخرى سعوا هم الآخرون- السلاطين الحفصيين- مسعى الدولة الموحدية في تكوين الموظفين الأكفاء للقيام بشؤون الدولة وأعبائها على أكمل وجه، ولا يتم لها ذلك إلا بتأسيس عدة مدارس، فالمدرسة التعليمية الحفصية سعى السلاطين الى تأسيسها من أجل بث ونشر العقيدة الأشعرية لكن تجذّر المذهب المالكي في المنطقة حال دون ذلك، إذن حركة المدارس نشأت في كنف الفقهاء المالكيين، ويكون الحكام الحفصيون قد وجدوا أنفسهم مضطرين من خلال بناء المدارس إلى إحياء المذهب المالكي، ورد الاعتبار لعلمائه الذين تعرضوا إلى محن ومضايقات وابتلاءات زمن الموحدون[2].

وهذا لا ينفي الدافع السياسي الخفي الرامي إلى تثبيت دعائم الملك وإرساء أسس الدولة التي كانت في طور التأسيس إضافة إلى تدريس مختلف العلوم ومدارس هذه الفترة رسمية مؤسسوها السلاطين الذين كانوا يشرفون على تعيين مدرسيها ومقررات التدريس وتحديد مواد الدراسة التي تتوافق مع المذهب المالكي[3]، وقد أوردت المصادر التاريخية أن المدرسة عند الحفصيين لم تكن تنقسم إلى عدد من الأقسام تبعا للمذهب – كما كان معمولا به في المشرق – إنما كانت على المذهب المالكي وحده فقط[4]، وتولى التدْريس بهذه المدارس عدد كبير من العلماء الذين فاقت شهرتهم الآفاق وتخرج عشرات الطلاب الذين صاروا من بعد فترة من تكوينهم أساتذة ومدرسون في مختلف المعارف والعلوم بالمدارس التعليمية الحفصية والملاحظ في عملية التدريس هو طغيان الصبغة الدينية عليها[5].

1 الطاهر المعموري، جامع الزيتونة، المرجع السابق، ص 88.

2 عبد العزيز لعرج، المدارس الإسلامية، ص119 .

3 الزرنوجي، تعليم المتعلم، ص11.

4محمد عبد الرحيم غنيم، تاريخ الجامعات، ص299.

5 الزرنوجي، مرجع نفسه ، ص11.

ظهرت النزعة الاجتهادية في المدرسة المالكية بالمغرب الأدنى خلال العهد الحفصي وأن الاجتهاد المقصود هو الاجتهاد المذهبي الضيق أي في إطار المذهب حيث يتم استنباط الأحكام من أصوله وقواعده، لأن نزعة الاجتهاد بالحواضر الحفصية كغيرها من حواضر المغرب لم تتعد نطاق المذهب المالكي، ولم يكن من السهل على الفقهاء بلوغ درجة الاجتهاد المطلق والتحرر من أصول المذهب المالكي وفروعه، ومن أشهر الفقهاء الذين عرفتهم الدولة الحفصية في مجال الاجتهاد نجد، محمد بن عبد الله بن راشد القفصي ت (736هـ/1336م) الذي اشتهر ببراعته في علم الفقه ومن أهم مؤلفاته تلخيص المحصول في علم الأصول، والفائق في معرفة الأحكام والوثائق والمذهب في ضبط مسائل المذاهب[1].

وهناك أيضا الفقيه الشهير أبو القاسم بن أحمد بن محمد البلوي البرزلي القيرواني الذي ينعته محمد الرصاع بشيخ الشيوخ ت (841هـ/1438م) كان حافظا للمذهب المالكي وملازما للفقيه ابن عرفة نحو أربعين سنة وقد أخذ عنه كثير من العلوم والمعارف، فتخرج على يديه علماء بارزون نذكر منهم ابن ناجي والرصاع وأحمد حلولو وعبد الرحمن الثعالبي كلهم أتبعوا خطاه في التأليف والتدريس، وقد أشتهر بتأليفه الضخم المعروف بالفتاوى أو النوازل أو ديوان البرزلي، أو جامع مسائل الأحكام بما نزل من القضايا بالمفتين والحكام[2]، وأبو عبد الله بن القاسم المشذالي ت(866هـ/1460) من كبار فقهاء المالكية تضلع في الكثير من العلوم الدينية بلغ درجة الاجتهاد، حيث كان يضرب به المثل تصدر التدريس بالجامع الأعظم من مؤلفاته تكملة حاشية الوانوغي، فالمدارس التعليمية الحفصية ساهمت مساهمة فعالة في تكوين أساتذة كان لهم الأثر البارز في تثبيت المذهب المالكي[3].

1 أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ص392.

2 نفسه، ص 369-370

3 نفسه، ص314.

خـاتمـــة

خاتمـة:

إن الازدهار العلمي الذي عرفته الدولة الحفصية، طيلة ثلاثة قرون من حكمها، كان بفضل مراكز التعليم المختلفة من مؤسسات علمية ومدارس تعلمية، ساهمت بشكل كبير في تطور العلمي والرقي الفكري وجعل من الدولة الحفصية مركزا إشعاعيا للعلم والعلماء، وهذا بفضل تظافر عدة عوامل وجهود استنتجناها من خلال بحثنا هذا وكان

أهما ما يلي:

1- الدور الكبير الذي لعبه سلاطين بني حفص ووجهائها وعلمائها في بناء المؤسسات العلمية ودعمها ماديا، واستحداث المدارس النظامية في بلاد المغرب الإسلامي، حيث كانت أول دولة أسست المدارس(المدرسة الشماعية) وتسمى بأم المدارس وتعتبر الأولى مغربيا، وكانت مثالا يحتذى به في دول المغرب الإسلامي الأخرى(المرينية والزيانية) فيما بعد.

2- كما كان للهجرة الأندلسية أثر كبير في تطوير أساليب ومناهج التعليم، التي رسخوها في كل المراحل التعلمية، وخاصة التعليم العالي من نقل للعلوم التي كانت متطورة في بلاد الأندلس قبل سقوطها، ولم يبخلوا في تدريسها في بلاد الدولة الحفصية، وكان أثرهم واضحا في البناءات التي بنوها في المساجد والمدارس والزوايا والربط وطرق والقلاع، ذات النسق والفن الأندلسي الراقي الذي عرفت به الأندلس.

3- لقد كان للمؤسسات التعلمية والمدارس دور كبير في توطيد العلاقات الثقافية، والتبادل الفكري، بين مختلف حواضر المغرب الإسلامي، والمشرق الإسلامي، وبالرغم من توتر العلاقات السياسية، إلا أن المؤسسات التعلمية والمدارس التعلمية، كانت أبوابها مفتوحة لطلبة العلم والعلماء الذين كانوا يفدون إليها من شتي الأقطار الإسلامية والدول الأخرى، للأخذ من علومها ومعارفها.

4- كما تميز العهد الحفصي بفضل مؤسساته ومدارسه التعلمية، بإنجاب خيرة العلماء ولازلنا نستقي من علومهم الى يومنا هذا كأمثال ابن خلدون، الذي اشتهر بعبقرتيه وعلمه الغزير وتأسيسه علم الاجتماع، ووضع أسس علم التاريخ، ولازال العالم إلى يومنا هذا يستقي من علمه ويدرس أساليبه ومناهجه العلمية، وكذالك الإمام ابن عرفة الذي أغلق باب الاجتهاد بعد وفاته لما كان له من علم غزير، واجتهادات تحسب له، وغيرهم كثير من العلماء الأفذاذ لازلنا ندرس مؤلفاتهم إلى يومنا هذا، حيث اتسم جل علماء العهد الحفصي بالموسوعية وتضلعهم في شتى العلوم والمعارف، من دينية وعقلية، وملمين بها ولهم مؤلفات مختلفة في شتى العلوم، حتى لا تكاد تفرق بين عالم الدين الفقيه والطبيب والفلكي، لتنوع مؤلفاتهم.

5- ونلاحظ كذالك من خلال التعليم في المؤسسات والمدارس التعلمية، تفوق العلوم الدينية على العلوم الأخرى، وهذا بسبب السياسة الدينية التي انتهجها سلاطين بنو حفص مند قيام دولتهم، وكذالك ما كان سائد في جل دول المغرب الإسلامي، وربما كانت سببا في سقوطها، في حين كانت الدول الصلبية تطور في العلوم العقلية وخاصة الصناعات الحربية.

وما يمكن استخلاصه في الأخير من خلال بحثنا المتواضع، حول المؤسسات والمدارس التعليمية في العهد الحفصي، أنها كانت ذات شأن كبير، وساهمت في صمود الدولة طيلة ثلاثة قرون خلت، وخلفت لنا أثارًا علمية، من مؤلفات وعلماء ومناهج واساليب علمية حديثة وسابقة لأوانها في ذلك العهد الوسيط، والتي تعتبر تطورا في المنظومة التعلمية ، في وقتنا الحاضر، وما هو إلا دليل على دور ومكانة المؤسسات والمدرسة التعلمية في العهد الحفصي لازلنا نستفيد منها إلى يومنا هدا.

الملاحق

الملحق رقم 1: مسجد القصبة

المصدر :محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص127

المرجع السابق، عبد العزيز الدولاتي، ص 24

الملحق رقم 2: المدرسة الشماعية

محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، ص560

محمد الباجي بن مامي ، مدارس مدينة تونس، مرجع السابق ، ص144

الملحق رقم 3: المدرسة المنتصرية-.تونس

محمد لعروسي المطوي، مرجع سابق، 58

محمد الباجي بن مامي ، مدارس مدينة تونس، ات ارجع السابق، ص240

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

أولا: المصادر :

2. ابن ابي دينار، **المؤنس في أحبار إفريقية وتونس**، تح ،محمود شمام، المكتبة العتيقة، تونس، 1967.

3. ابن الآبار، **الحلة السيراء**، تحقيق حسين مؤنس،ج2، ط1، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة 1963.

4. ابن الخطيب لسان الدين ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح محمد ع الله عنان،ج1، ط2،مكتبة الخانجي القاهرة، 1973.

5. ابن الشماع، **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصة**، تحقيق الطاهر ابن محمد المعموري، دار العربي للكتاب سنة 1984.

6. ابن المرابط، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، تحقيق لطفي عيسى، ط1،المكتبة العتيقة، تونس،1988.

7. ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر**،ج6، ط2، ضبط ومراجعة خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

8. ابن خلدون عبد الرحمان، **التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا**، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الطباعة والشعبية للجيش الجزائر،2007

9. ابن خلدون عبد الرحمان، **المقدمة**، تحقيق شيخ مصطفى شيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت لبنان،2005.

10. ابن خلكان، **وفيات الأعيان وانباء وابناء الزمان**، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة1968.

11. ابن رشيد، **الرحلة**، ج1، ط1، تحقيق احمد حداد، منشورات الأوقاف وزارة الشؤون الدينية المغربية، المغرب 2003.

12.ابن شاكر الكتبي ،**فوات الوفيات**، تحقيق إحسان عباس ، بيروت سنة 1973.

13.ابن عبد البر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تح :سعيد أحمد أعراب ، وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ، المغرب، الرباط.

14.ابن عذارى، **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب**، تح محمد بن تاوريت وأخرون، ط1، دار الغرب الإسلامي لبنان1985.

15.ابن قنفد القسنطيني، **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية** ، تحقيق محمد الشاذلي ، النيفر التركي، الدار التونسية للنشر، 1968.

16.ابن منظور محمد بن كرم بن علي، **لسان العرب**،ج2، الدار المصرية، القاهرة ، بدون تاريخ.

17.ابوبكر عبد الله، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1414هـ.

18.بابا التنبكتي أحمد، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ،تحقيق، عبد المجيد الهرامة،ج1،ط1،طلية الدعوة الإسلامية، طرابلس.

19.البرزلي، **جامع مسائل الأحكام**،ج3، ط1، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، لبنان 2004.

20.بن القاضي، **ذيل وفيات الأعيان المسمى ذرة الحجال في أسماء الرجال** ، تحقيق أبو النور محمد الأحمدي، ط1،ج2، المكتبة العتيقة، تونس،1971.

21.بن سحنون محمد ، **آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ،الجزائر،1981.

22.البيدق الصنهاجي ابي بكر بن علي، **اخبار المهدي بن تومرت وبداية الدولة الموحدين**، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، سنة 1971.

23.الترجمان، **تحفة الأريب في ربط على أهل الصليب**، تح عمر وفيق الدعوق، ط 1،دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1988.

24.حسن حسني عبد الوهاب، **شاهرات تونسيات من الفتح الإسلامي الى 1934**، المطبعة التونسية ،مكتبة المنار، ط1،تونس، 1966.

25.الدباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**،ج4، ط1، تصحيح وتعليق إبراهيم شيوخ وأخرون، سنة 1960.

26.الرصاع، **فهرست الرصاع**، تحقيق وتعليق محمد العنابي، دار الكتب الوطنية، تونس المكتبة العتيقة، سنة 1967.

27.السراج محمد ، **الحلل الأندلسية في الاخبار التونسية**، ط 1، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار التونسية لنشر، تونس 1970.

28.السنوسي ابو عبد الله محمد بن عثمان، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تح محمد الشاذلي النيفر.

29.السنوسي، **مسامرات الظريف بحسن التعريف**، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، ج3، دار الغرب الإسلامي سنة 1994.

30.العبدري، **الرحلة المغربية** ،منشورات بونة للبحوث والمنشورات، ط1،الجزائر،2007.

31.الغبريني ، **عنوان الدراية**، ط2، تحقيق رابح بونار، شركة الوطنية لنشر وتوزيع، الجزائر1981.

32.القاضي عياض ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك** ، ج 01، ،1983.

33.القلصادي، **رحلة القلصادي**، تح ابو الأجفان محمد، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1982.

34.المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، شرح صلاح الدين الهواري، ط 1، المكتبة المصرية بيروت .

35.المقري، **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، تحقيق سعيد أحمد اعراب ، عبد السلام الهراس ، الجزء الخامس ، 1980.

36.المقري، **نفح الطيب** ،ج8، ط1، تصحيح وتعليق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل، دار الكتاب العلمية، لبنان 1995.

37.المقريزي ابو العباس، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار**،ج1، ط2، المكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 1987.

38.نجيب زينب، **الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس مج3**، ط1، دار الامير،1955.

39.الوزير السراج، **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب الهبلة، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970.

40.الونشريسي، **المعيار المعرب عن فتوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب**، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة 1981.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام الديني والثقافي**، دار الجيل، بيروت، ج4، ط14، سنة1996.

2. ابو عبد الله شمس الدين ،**انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك**، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1981.

3. الأبي (محمد بن خلفة) ،إكمال الإكمال في شرح مسلم ضبطه وصححه محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ج1 ،(د، ت).

4. الباجي محمد بن مامي ، **مدارس مدينة تونس** ، المعهد الوطني للتراث، تونس ،2006 .

5. برنشفيك روبار، **افريقية في العهد الحفصي من القرن13م الى نهاية القرن15م** ، ترجمة ،حمادي

6. برهان الزر نوجي، تعليم المتعلم ،مكتبة الثقافية الدينية، ط1،القاهرة ،2003.

7. بن الديب عيسى وآخرون، **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط** ،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ،الجزائر، 2007.

8. بن خوجة محمد، **تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ط2،1985.

9. بن عاشور محمد لعزيز، **جامع الزيتونة المعلم ورجاله** ، دار سراس للنشر،تونس،1991.

10.بن قرون صالح واخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني لدراسات والبحث في الحركة الوطنية ثورة اول نوفمبر 1954، الجزائر2007.

11.بوشامة عاشور، **علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس626-981هـ/1228-1537م**،جامعة القاهرة،1991.

12.التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا طبع باسم رحلة ابن خلدون، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ،2004

13.جبر حسن، **أسس الحضارة العربية الإسلامية ومعالمها**، دار الكتاب للحديث، ط2، الكويت ،1999.

14.حساني مختار، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية (مدن الشرق)**، ج3، ط1، دار الحكمة ،الجزائر، 1980.

15.دنون طه عبد الواحد، **تاريخ المغرب العربي**، دار النشر المدار الإسلامي، سنة 2004 .

16.الدولاتي عبد العزيز، **مدينة تونس في العهد الحفصي**، تونس، 1981.

17.روبار برنشفيك ، **تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من بداية القرن 13 الى نهاية القرن 15** ، نقله إلى العربية حمادي الساحلي ، دار الغربي الإسلامي، لبنان.

18.زيتون محم، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار المنار، القاهرة،1988.

19.الساحلي، ط1، دار الغرب الاسلامي، 1998.

20.سحنون الفقيه المالكي، **الشيباني محمد الشقنطيطي،** كتاب محضرات ملتقى الامام سحنون، القيروان، سنة1412هـ، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان 1993.

21.الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من العصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال،** تع محمد شاوش، ط3، دار سراس، 1993.

22.ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي عصر الدول والأمارات،** دار المعارف، القاهرة،ج9.

23.الطويلي أحمد، **مراكز الثقافة وتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي،** تونس سنة 2000.

24.العبادي أحمد مختار ، **في تاريخ المغرب والأندلس ،مؤسسة الثقافة الجامعة،** الأسكندرية،2001 .

25.عمارة علاوة ، **دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر العصر الوسيط** ، مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2013.

26.عنان محمد عبد الله ، **عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس،** ج2، ط1، مطبعة لجنة التأليف والنشر.

27.الغزاوي عبد الرحمن، **تاريخ المغرب العربي الإسلامي،** دار الخليج،ط1، الاردن، 2011.

28.غنيمة محمد عبد الرحيم تاريخ الجامعات الكبرى، دار الطباعة المغربية، تطوان،1953 .

29.فلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني،** ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2012.

30.فؤاد نجوى، **مساجد القيروان،** ط1،مطبعة دار عكرمة،، تونس، 2000.

31.كمال ابو مصطفى، **جوانب من حضارة المغرب الاسلامي.**

32.محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين،**ط1، ج2، دار الغرب الاسلامي،بيروت،1982.

33.محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1،مطبعة أفريقية الشرق،1991.

34.المطوي محمد العروسي، **السلطة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي،** بيروت لبنان 1986.

35.المعموري الطاهر، **جامع الزيتونة ومدارس تونس في العهدين الحفصي والتركي** ، دار العربية للكتاب ، تونس.

36.مغزاوي مصطفى، **التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي وموقف السلطة والفقهاء منها**، دار نور للنشر.

ثالثا: الأطروحات والرسائل الجامعية:

1. عبدلي لخضر، **الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني**، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، سنة 2006.

2. رزيوي زينب، **العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين7-9هـ/13-15م**، رسالة دكتوراه، جامعة سيدي بالعباس، سنة 2016.

3. بختاوي قاسم، **التعليم في المغرب بين القرنين 4و7هـ/10و13م**، أطروحة دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس،2016.

4. بلحسن إبراهيم، **العلاقات الثقافية بين المغربين الأوسط والأدنى من القرن7هـ- 9هـ/13- 15م**، رسالة ماجيستير، جامعة تلمسان، 2004-2005م.

رابعا :المقالات :

1. الطويلي احمد، **مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي**، مركز النشر الجامعي، تونس 2000.

2. يحي بوعزيز، **أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19و20 م**، مجلة الثقافة، العدد 63، سنة1983 الطويلي أحمد، **مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي**، مركز النشر الجامعي، تونس 2000.

3. بوعبدلي المهدي، **الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**، مجلة الاصالة العدد 13، الجزائر، 1973.

4. محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26.

5. يحي بوعزيز، **اوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19و20 م**، مجلة الثقافة، العدد 63، سنة1983.

6. الكعاك عثمان ، **مراكز الثقافة في المغرب من القرن 16الى19**، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية.

7. ظريف محمد، **مؤسسة الزوايا بالمغرب**، المجلة العربية لعلم الاجتماع السياسي 1992.

8. عبد العزيز لعرج **المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها** ، مجلة دراسات إنسانية، العدد 1، جامعة الجزائر، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ،2001.

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

شكر وعرفان

إهداء

المقدمة ..... **أ-هـ**

الفصل الأول : لمحة تاريخية عن الدولة الحفصية **08-20**

المبحث الأول: أصل الحفصيين **08**

المبحث الثاني: الظروف المساعدة على ظهور الحفصيين **09-11**

العوامل الدينية والإجتماعية **09**

العوامل سياسية **10-11**

المبحث الثالث: تأسيس الدولة الحفصية **11-20**

أولا: الإطار الجغرافي للدولة الحفصية **13**

ثانيا: أبرز حكام الدولة الحفصية **14-20**

الفصل الثاني المؤسسات التعليمية وطرق التعليم في العهد الحفصي **22-24**

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية **22-24**

1- الكتاتيب **22**

2- المساجد **24-27**

3- الزوايا **27-30**

4- الرباط **30-31**

المبحث الثاني: طرق ومناهج التدريس 31-35

مراحل التدريس 31-32

كيفية التدريس 33-34

الإجازة 34-35

المبحث الثالث: أهم العلوم التي كانت تدرس 35-41

أولا: العلوم النقلية 35

1- علم النفسير 36

2- علم الحديث 36

3-علم الفقه 37

4-علم التصوف 38

5- العلوم اللسانية 38

6-علم التاريخ 39

ثانيا: العلوم العقلية 39

1-علم المنطق 40

2-الطب 42

3-علم الرياضيات 41-42

الفصل الثالث المدارس التعليمية المالكية وأثرها في العهد الحفصي 41-61

المبحث الأول: لمحة تاريخية عن المدارس التعليمية المالكية 43-45

أولا: المدرسة المالكية في بلاد المغرب الإسلامي 43

ثانيا: المدرسة التعليمية في بلاد المغرب الإسلامي 44

- المعنى اللغوي 44

- المعنى الاصطلاحي 44

ثالثا: نشأة المدارس التعليمية في العهد الحفصي 44-45

المبحث الثاني: أهم المدارس التعليمية خلال العهد الحفصي 45-56

1- المدرسة الشماعية 45-46

2- المدرسة التوفيقية 47

3- المدرسة العصفورية 48

4- المدرسة المعريضية 48-49

5- المدرسة المرجانية 50

6- المدرسة المغربية 50

7- المدرسة العنقية 51

8- مدرسة ابن تافرجين 52

9- المدرسة الحكيمية 53

10- مدرسة القائد نبيل 53

11- مدرسة باب البحر..... 54

12- المدرسة المنتصرية 54-55

13- المدرسة الجديدة 55-56

المبحث الثالث: أثر المدارس التعليمية المالكية خلال العهد الحفصي 56-61

أولا : أثرها في تطور مناهج التعليم 56-59

ثانيا: أثرها في ثبيت المذهب المالكي 59-61

- خاتمة..... 63-64

- قائمة الملاحق..... 65-68

- قائمة المصادر والمراجع 69-77

- فهرس الموضوعات..... 81-85

ملخص:

تتضمن هذه المذكرة دراسة مستفيضة حول المؤسسات العلمية والمدارس التعليمية المالكية في العهد الحفصي خلال الفترة الممتدة بين 625-981هـ/1228-1574م، حيث ساهمت هذه المؤسسات والمدارس في تنشيط الحركة العلمية التي عرفتها الدولة الحفصية وفي إعداد وتكوين الأطر من علماء وقضاة وأساتذة وأثرهم في تعزيز وترسيخ المذهب المالكي ، كما تم التطرق الى أهم العلوم والعلماء والمناهج العلمية، وسلطنا الضوء على الجانب الثقافي و العلمي.

الكلمات المفتاحية: المؤسسات العلمية، المدارس التعليمية ، الأطر، المذهب المالكي، العهد الحفصي.

ABSTRACT:

This dissertation includes an extensive study on the scientific institutions and Maliki educational schools during the Hafsid period between(625-981AH/1228-1574CE).These institutions and schools contributed to the revitalization of the of scientific movement thay the hafsid state knew and in creating frameworks judges and professors and their effect in consolidation of the Maliki School.

Moreover we also touched on the most important sciences, Eminent scholars, and scientific curricula, and we shed light on the cultural and scientific aspect.

Key words: scientific institutions, educational schools, frameworks, Maliki School, Hafsid period.